المملكة العربيـة السعودية
وزارة التعلـيم العـالى
جامعة أم القرى
مكة المكرمة



لجنة تكريم رواد مكة المكرمة
سلسلة السير والآثار العلمية
(١٠)

سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد

رئيس مجلس القضاء الأعلى

رئيس مجلس المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي

عضو هيئة كبار العلماء

رحمه الله تعالى

حياته العلمية والعملية

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

إعــداد

صالح بن عبد الله بن حميد

رئيس مجلس الشورى - إمام المسجد الحرام وخطيبه
عضو هيئة كبار العلماء

ح جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

بن حميد، صالح بن عبدالله
سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد حياته العلمية والعملية. / صالح بن عبدالله بن حميد – مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ

٩٦ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٨-٧٨٧-٠٣-٩٩٦٠

١ – ابن حميد، عبدالله بن محمد ٢– القضاة السعوديون

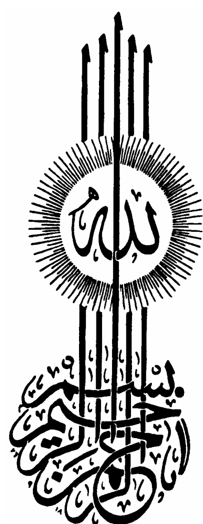
أ – العنوان

ديوي ٩٢٢,٥ ١٤٢٦ / ٥٨٤١

رقم الإيداع : ١٤٢٦ / ٥٨٤١

ردمك : ٨-٧٨٧-٠٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى



مقـــــدمة :

الحمـد لله رب العـالمين والـصلاة والـسلام علـى أشـرف الأنبيـاء والمرسـلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـد: فهـذه نبـذة مختـصرة في ترجمـة سماحـة الـشيخ الوالـد عبـد الله بـن محمـد بـن حميـد رحمـه الله متـضمنة نـشأته وسـيرته العلميـة والعمليـة، ونمـاذج مـن رسـائله وفتـاواه وأقـوال معاصـريه فيـه ، وفي النيـة عـزم إن شـاء الله علـى كتابـه ترجمـة مفـصلة مـستوعبة لأحـوال وأعمـال وأيامـه ونـوادره ووقائعـه. إضـافة إلى جميـع رسـائله وفتـاواه وكـل ذلـك الأن بـصدد التحريـر أسـأل الله أن يسهل ذلك أنه سميع مجيب.

نشـــــأته:

هـو العـالم العلامـة البحـر الحـبر الفهامـة الفقيـه الحـافظ الـشيخ أبـو محمـد عبـد الله بـن محمـد بـن حميـد بـن عبـد العزيـز بـن عبـد الـرحمن بـن حـسين بـن حميد ينتهي نسبه إلى بني خالد القبيلة المعروفة.

ولـد في مدينـة الريـاض في التاسـع والعـشرين مـن ذي الحجـة سـنة تـسع وعـشرين وثلاثمائـة وألـف مـن الهجـرة النبويـة. تـوفي والـده رحمـه الله وهـو في الـسنة الثانيـة مـن عمـره، وتوفيـت والدتـه وهـو في الـسنة الـسادسة مـن عمـره، كـف بـصره وهـو صـغير بـسبب مـرض الجـدري، ودخـل الكتـاب حيـث قـرأ القـرآن وحفظـه علـى المقـرئ علـى بـن محمـد مـديميغ، وكـان حافظـاً لـه متقنـاً ضـابطاً ثـم إنـه فيمـا بعـد اسـتظهره وقـرأه مجـوداً علـى إمـام المـسجد الحـرام الشيخ عبد الظاهر أبي السمح رحمه الله.

وبعـد أن حفـظ القـرآن في صـغره أخـذ في طلـب العلـم. فقـرأ علـى الـشيخ صـالح بـن عبـد العزيـز آل الـشيخ قاضـي الريـاض ت/١٣٧٢هـ - كتـاب

التوحيد، وكشف الشبهات، والعقيدة الواسطية، والأربعين النووية، وزاد المستقنع، وشرحه الروض المربع.

وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف (١٢٦٣ – ١٣٤٥هـ) التوحيد وآداب المشي إلى الصلاة.

كما قرأ على الشيخ حمد بن فارس (١٢٦٣ – ١٣٤٥هـ) مدة قصيرة وذلك قبل وفاته بنحو عشرة أشهر قرأ عليه متن الآجرومية.

أما الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣١١ – ١٣٨٩هـ) علامة الجزيرة ومفتيها فهو شيخه الأكبر، فقد أخذ عنه جل علومه ومعارفه في كل الفنون وعلوم الآلة، فقرأ عليه في التوحيد والعقائد: التدمرية، والحموية، وكتاب التوحيد، ورد الإمام أحمد على الزنادقة والجهمية، وفي الحديث: قرأ عمدة الأحكام، والمصطلح، وبلوغ المرام، وجل هذه الكتب يحفظها الشيخ رحمه الله استظهاراً وسمع عليه صحيحي البخاري، ومسلم وسنن أبي داود، والنسائي.

وفي الفقه: زاد المستنقع مختصر المقنع، وشرحه الروض المربع، ونظم المفردات، وشرحها مستظهراً مختصر المقنع، ونظم المفردات، كما قرأ قطعة كبيرة من المنتهي وحفظ منه إلى باب الصداق وفي الفرائض: متن الرحبيه والبرهانية، ومراجعات كثيرة في شرح الترتيب؛ إذ له به عناية خاصة وفي النحو: قرأ الأجرومية، وقطر الندى، وشرحه، وملحة الاعراب، وشرحها، وألفية ابن مالك، وشرحها لابن عقيل، وحاشية السجاعي، والخضري عليها.

وهو يحفظ هذه المتون كلها.

وارتحل مع شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم إلى بلد الغطغط وقرأ هناك كثيراً على شيخه.

وقد وهبه الله رغبة في العلم وحب التحصيل والاستزادة من العلوم والمعارف بشتى أنواعها وفنونها، من الشرعية، والعربية، والأدبية أصولاً وفروعاً فتأهل وبرز بين الأقران. مما جعل الشيخ محمداً يعينه مساعداً له في التدريس في المسجد الذي يدرس فيه الشيخ. وهو المسجد المعروف باسم مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في حي دخنة من مدينة الرياض وكان ذلك المسجد يمثل جامعة إسلامية تموج بالطلاب من مختلف المناطق، بل ومن خارج الجزيرة.

صفاته الخلقية والخُلقية:

كان رحمه الله معتدل القامة وهو إلى الطول أميل، مشرق الوجه، متوسط اللحية، مقرن الحاجبين، كثيف شعرهما، ربعة في الجسم مع ميل للنحافة ضرير البصر، ولكن الله عوضه بحدة في الذكاء، وقوة في الحافظة، وسرعة الاستحضار ومعرفة الناس، وتمييز الأصوات في صورة نادرة كانت مثار الاندهاش لكل من عرفه أو أتصل به.

يقول الدكتور عبد العزيز الخويطر:

(لعل المستمعين يذكرون برنامجاً في الإذاعة، يفتي فيه الشيخ عبد الله بن حميد – رحمه الله – ويرد على بعض المستفتين فكان المذيع يذكر اسم السائل كاملاً واسم بلدته، ثم يتلو السؤال وعند الرد يوجه الشيخ الرد على الشخص ذاكراً اسمه وأسم والده وجده وبلدته وسؤاله كاملاً قبل أن يبدأ بالفتوى وكنا نندهش نحن المستمعين من مقدرته عليه رحمه الله من تذكره للاسم كاملاً واسم البلدة إذا ذكرت في السؤال، ثم

يذكر السؤال بنصه، وليس بمعناه، ونحاول نحن أن نتذكر الأسم كاملاً فلا نفلح، وكان طموحنا لا يصل إلى الأمل في تذكر نص السؤال أو بعضه، ونكتفي بمحاولة استيعاب المعنى، وإذا تعددت أقسام السؤال فقد ننسى بعضا منها، هو رحمه الله لا ينسى) (١).

وكان ذا هيبة ووقار هادئ الشخصية طويل التفكير فيه أناة وحلم متميز. كما كان على جانب عظيم من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة والمناقب الفاضلة. وكان يكره ألفاظ التفخيم وأسماء التعظيم ويمقت من يناديه بها أو ينادي غيره بل لقد كان يعقب على المتلفظ بها ولو كان ذلك في ناد أو محفل.

كما كان رحمة الله ديناً ورعاً صالحاً عفيف النفس غير متزلف لذي جاه أو نفوذ، شديد الاحتمال، وكان يربأ بالعلم أن تنال به حظوة أو يُسعى به إلى مرتبه. كما كان فصيح اللسان، قوى الجنان، طويل الصمت ذا جواب حاضر وذهن متقد. تعجبه العبارات الأدبية الراقية، والمنطق الحسن؛ ومن أجل هذا فهو يحفظ من عيون الأدب ومقطعات الشعر ما يزين به مجلسه ويجلب فيه السرور لجلسائه.

وكان حريصا على حسن الملبس وجمال الهندام مع التواضع وعدم التكلف، كما كان يحرص على التنظيف والرائحة الطيبة بشكل ملفت للنظر جداً فهو يحب الطيب ويعتني به جداً حتى إنك لترى المجالس التي يرتادها أو يمر بها تعبق رائحتها مما يعرف من أن الشيخ قد مر من هنا...

---

(١) جريدة عكاظ – السنة الرابعة والثلاثون، العدد ٩٥٦٣ في ١٤١٣/٤/٧هـ.

ومعنى ذلك أن حب الطيب والحرص على إصلاح النفس لا يعارض ما هو عليه رحمه الله من زهد وتواضع وورع.

والخلاصة أنه كان رحمه الله حلو الشمائل من عرفه أحبه وتعلق به مع حفظ المهابة.

الشيخ أستاذاً ومدرساً:

للشيخ المترجم رحمه الله جهود متميزة في التدريس، وطريقة في التعليم كان لها أثر بالغ في إفادة الطلاب وتميز المتميزين وتجلي المواهب وظهور المواهب الفردية لنجباء الطلاب.

أول عهده بالتدريس سنة ١٣٥٦هـ حينما كلفه شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم بمساعدته في التدريس في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم كما سبق وذلك لما عرفه في المترجم من نجابة وإدراك وكفاءة وذلك حين تكاثر الوافدون إلى الرياض فا زدحمت حلقة الشيخ محمد. فكان الشيخ محمد

يعقد حلقته في جانب والمترجم يعقد حلقته في جانب آخر. وكان ذلك بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس. فدرس كتب العقائد والتوحيد والفقه والعربية فدرس عليه في تلك الفترة خلق كثيرة.

ثم في شهر ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ حينما انتقل إلى بلدة المجمعة من منطقة سدير على ما سوف يأتي مفصلاً في أعماله.

عقد حلقاته العلمية في المسجد المعروف (بمسجد ناصر) فرتب للطلاب بعد صلاة الفجر في التوحيد والنحو والفقه ومصطلح الحديث إلى طلوع الشمس.

وفي بيته درس في بعض المطولات مثل زاد المعاد في هدى خير العباد، وإعلام الموقعين كلاهما للعلامة ابن القيم، والآداب الكبرى لابن مفلح، وشرح منظومة الآداب ومجموعة الرسائل النجدية، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وكتب أخرى، ثم يتوقف ليبدأ مجلس القضاء وينظر في قضايا الناس.

وبعد صلاة الظهر يعقد حلقته العلمية الثالثة في المسجد (مسجد ناصر) في قراءة التاريخ من كتاب (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير، وفي منتقى الأخبار لمجد الدين بن تيميه.

وبعد صلاة العصر تكون الحلقة الرابعة إذ يدرس الطلاب فيها بلوغ المرام وكتباً كالأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، والعقيدة الواسطية.

أما بعد صلاة المغرب فمخصص لعلم المواريث حيث يدرس الطلاب الفرائض.

وبعد العشاء غالباً ما يخصصه الشيخ للمطالعات والمراجعات في بيته أخذ على ذلك في المجمعة قرابة ثلاث سنين ونفع الله به خلقاً كثيراً.

وفى يوم الجمعة عشرين من ربيع الثاني عام ثلاث وستين وثلاثمائة وألف. انتقل إلى القصيم على ما سوف يأتي مفصلاً في الكلام على أعماله.

فما أن حل في مدينة بريدة حتى عقد حلقاته العلمية في المسجد الجامع الكبير(٢) وقد زادت حلقات الشيخ كما وكيفاً ففي المنطقة راغبون في العلم كثير، وبخاصة أن طريقة الشيخ تستهوي طالب العلم، وتكشف

---

(٢) وهو المسم الآن: جامع خادم الحرمين الشريفين.

المواهب، وتشخذ المهم، كما سوف يأتي بيانه مفصلاً في طريقة الشيخ في التعليم أن شاء الله.

فقد أصبح يغشى حلقات الشيخ ودروسه الوحدان والزرافات من منطقة القصيم وخارجها. وأوقات انعقاد الحلقات بعد صلاة الفجر، وبعد طلوع الشمس، وبعد الظهر، وبعد العصر، وبعد المغرب، فكانت دروس التوحيد، والعقيدة في كتاب التوحيد، ولمعة الاعتقاد، والدرة المضية، ومجموع الرسائل النجدية والصواعق المرسلة لابن القيم.

وجل كتب الفقه المطبوعة لذلك آنذاك في الفقه الحنبلي كمختصر المقنع، وشرحه الروض المربع، والإقناع، وغاية المنهي، والمغني وكشاف القناع، وعمدة الفقه، وأخصر المختصرات، والطلاب يستظهرون مختصر المقنع.

وفي النحو ألفية ابن مالك استظهاراً مع شرح ابن عقيل عليها ومراجعة بعض الحواشي كالخضري، والسجاعي؛ كما أن له عناية بتوجيه بعض الطلاب نحو المطولات فيقرأونها على الشيخ في الحلقة، وقل أن يطبع في ذلك الوقت كتاب في الأمهات ألا ويكلف الشيخ أحد الطلاب بقراءته؛ ومن هذه المطولات: كتاب البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الطبري، وتفسيره، وتفسير ابن كثير والمغني لابن قدامه ومروج الذهب للمسعودي، وزاد المعاد، وأعلام الموقعين، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، وسمط النجوم العوالي، وبعض كتب الشافعية، ناهيك بكتب الحديث من الكتب الستة وغيرها من كتب الدنيا والدين الحاوية للمعارف الإسلامية عقيدة وفقهاً ولغة وآداباً وتاريخاً.

وبعد الظهر يعقد الشيخ حلقة خاصة لمنسوبي وزارة المعارف الذين يتمكنون من حضور الحلقات أول النهار، كما تشتمل حلقة بعد العصر على دروس في مصطلح الحديث. وما بقي من وقت فان الشيخ يقضيه في المكتبة العلمية التي قام على إنشائها على ما سوف يأتي بيانه. ففي هذه المكتبة يعقد الحلقات في الضحى حين ترك القضاء.

أما بعد العصر وبعد الفراغ من حلقة المسجد فإنه يقصد المكتبة من أجل المطالعة والنظر في بعض المطولات وقد يرغب في النظر في بعض الكتب والمجلات العلمية المتخصصة كمجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا. فقد كان الشيخ المترجم واسع المدارك راغباً في الاستزادة من التحصيل والنظر في المتغيرات ومتابعة الأحداث من حوله.

وبعد المغرب فإن حلقة القصيم فيه كحلقة المجمعة مخصصة للفرائض وإن بقي وقت فيقرأ فيه شيئاً من التاريخ كمروج الذهب للمسعودي، والمنتظم لابن الجوزي، وما بين آذان العشاء وإقامة الصلاة فتكون قراءة في التفسير لابن كثير، ويعلق الشيخ فيه بعض التعليقات المناسبة من إيضاح غامض، أو بيان لدرجة حديث، أو تعليق واعظ، ثم بعد العشاء يراجع الشيخ في منزله ما قد يكون أشكل من مسائل فقهية أو لغوية و أسماء رجال وتوثيقهم وأسانيد حديث وقد تستمر المطالعة والمراجعة إلى ما بعد منتصف الليل.

وفي عام أربع وثمانين وثلاثمائة وألف انتقل الشيخ إلى مكة المكرمة مجاوراً بيت الله العتيق فعقد حلقة بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم كان يركز فيها على جانبي التوحيد والأحكام؛ ففي التوحيد حرص على إيضاح توحيد العبادة وبيان ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله

الواجب من الشرك الأصغر، وبيان البدع القادحة في التوحيد، والمعاصي المنتقصة لثوابه، وتبصير الناس بأحكام دينهم؛ وبخاصة في مناسبتي رمضان والحج حيث يكثر العمار والحجاج. وفي هذه المواسم يطول عقد هذه الحلقات بعد العشاء ويجيب فيها على أسئلة السائلين والمستفتين.

طريقة الشيخ في التدريس:

الدروس عند الشيخ رحمة الله على نوعين:

النوع الأول: أمهات المتون كمختصر المقنع (زاد المستنقع) وألفيه بن مالك في النحو والبيقونية في مصلح الحديث والرحبية في علم الفرائض.

هذه يقرأها الطلاب؛ إستظهاراً على الشيخ ويستمع منهم ثم يقرأ واحد منهم أحد الشرح وبخاصة الروض المربع شرح مختصر المقنع، فإذا ما بلغوا باباً أو بابين يعقد الشيخ جلسة يمتحن فيها الطلاب ويسألهم عما مضى مسألة مسألة بأمثلتها وفروعها ففي الفقه كثيراً ما يسأل عن الأحكام وصور المسائل وفى النحو يسأل عن الإعراب ويورد الشيخ أمثلة ويكلف الطلاب بالإعراب واحداً واحداً ولكل واحد مثال خاص فإذا ما عجز نقل السؤال إلى صاحبه الذي يليه أو نقله إلى مجموعهم.

وفي المواريث يسألهم عن الأحكام والأمثلة فيورد لهم مسائل حسابية ويكلفهم بقسمتها ولا يطرح السؤال للجميع بل لكل واحد مسألة فإذا ما عجز صاحب المسألة والذي يليه فقد يوجه السؤال للجميع ويطلب منهم الإجابة.

وللعلم فإن الشيخ إذا أعطى الطالب مسألة فهو رحمه الله يحفظها ولا تختلط عليه المسائل والأمثلة ويظهر ذلك جلياً في المواريث فإن الشيخ يوزع المسائل على الطلاب أولاً وقد يكون في الحلقة ما يربو على ثلاثين أو

أربعين طالباً فيعطي لكل واحد مسألة ليقسمها فإذا ما وزع المسائل عليهم عاد إلى الأول فسأله عن مسألته وما هي النتيجة قسمتها ونصيب كل وارث. فيحدث أن بعض الطلاب إما أن ينسى مسألته أوقد يستصعبها فيضع لنفسه مسألة أسهل فما يكون من الشيخ إلا أن يوقفه وينبهه بأن هذه ليست مسألته وإنما مسألته هي كذا وكذا وهذا من عجائب الشيخ وقوة حافظته فسبحان من يوزع المواهب.

النوع الثاني: **المطولات**:

فقد يرغب بعض الطلاب، وبخاصة كبارهم والنابهون منهم أن يقرأوا على الشيخ بعض الكتب المطولة في الحديث، وشروحه، والعقائد والفقه، والتفسير، والتاريخ والأدب، أو أن الشيخ رحمه الله يوجه بعض الطلاب لقراءة مثل هذه الكتب في الحلقة بقصد تعويدهم وغرس حب المطالعة فيهم.

وقد أمكن للشيخ وطلابه قراءة عدد كثير منها، بل إن بعضها قد تمت قراءته أكثر من مرة.

ومن هذه الكتب صحيح البخاري وشرحه فتح الباري وبقية الكتب الستة، وشروح بعضها، وبعض كتب السنة الأخرى؛ كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، والمغني لابن قدامه، وجملة من كتب المذهب كالكافي، والإقناع، وغاية المنتهى، وأغلب المطبوع من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، كالفتاوى المصرية وكتاب الإيمان، ورفع الملام. والإمام ابن القيم، كمدارج السكاكين، وإعلام الموقعين، وإغاثة اللهفان، والصواعق المرسلة، وكتب أئمة الدعوة كشروح كتاب التوحيد، والدور السنية، كما أن للشيخ وطلابه قراءات في كتب التاريخ: كتاريخ ابن

جرير، وابن كثير، ومروج الذهب للمسعودي، والكامل لابن الأثير، والمنتظم لابن الجوزي، وصفة الصفوة له أيضاً وغير ذلك.

وكل ذلك لا يخلو من وقفات للشيخ من توضيح غامض أو استدراك أو تنبيه أو تراجع.

ونظراً لهذه الكثافة العلمية والغزارة العميقة فقد رحل إلية الطلاب فأصبحت حلقاته تموج بالطلبة وتزخر بالمصلحين فتتلمذ عليه فحول وتخرج على يديه فطاحل من أعيان العصر وكبار الجيل مما سنأتي على ذكرهم إن شاء الله. سمعوا عليه ونبغ منهم الكثير فنفعهم الله ونفع بهم.

وقد كان الشيخ في تدريسه فصيح المنطق واضح الكلام جلي العبارة يوضح المسائل، ويقعد القواعد، ويقُوم الأدلة، ويبسط المسألة ولا يأنف من أسئلة الطلاب، بل إنه ليثير المسألة بنفسه ويلقيها على الطلاب وقد يمهلهم للمراجعة في الجلسة القادمة وإذا أستصعب الطلاب المسائل فإنه يكرر الشرح.

شخصيته العلمية:

كان للشيخ شخصية جذابة نظراً لما تجلي فيه من مهابة أهل العلم النابغة من تطبيقه لمسالكهم، واحترامه للعلم وأهله وتقديره لكل من يظهر اهتماماً به أو تبدو عليه ملكة أو موهبة.

وبالنظر في تكوين الشيخ العلمي وتأمل الشخصية العلمية لديه يلاحظ أن العامل الأول الذي يسبق كل العوامل ويتقدمها. القرآن الكريم فيه ابتدأ علمه فهو اشرف العلوم وأجلها وأعطاه كل عناية وكرس له همته فكان صاحبه طول حياته صاغ به بإذن الله نفسه فاستوحاه في سيرته، وترسم خطاه، وقطع به ليله، وتدبره واسترشد به، وبني عليه معارفه

وعلومه، ليقينه بأنه غذاء القلوب وعلاج النفوس. أما في آخر حياته فقد كثرت منه تلاوته وتدبره والصلاة به آخر الليل، ويختمه تلاوة أسبوع أو أقل من ذلك، كما كان يؤم في صلاة التراويح في بعض السنوات كما تميز الشيخ بشخصيته الفقهية الاستنباطية النادرة فمع أن الشيخ رحمه الله تفقه في مذهب الإمام أحمد وحفظ متونه واستوعب شروحه ودرسه ودرسه وانتسب إليه لكن ذلك لم يحمله على التعصب، أو الانغلاق في فقهه وفتاواه واقضيته، بل كان يتحرى الدليل ويتمثل الوقوف بين يدي الله عز وجل، ولقد منحه الله بصر الفقيه، وأداة المجتهد، فهو يحترم مذاهب الحق ويحفظ لكل ذي حق حقه ويقدر لكل ذي منزلة منزلته فكان كثيراً ما ينظر في مختلف المذاهب وأراء أصحابها ويطلع على حججهم وأدلتهم ويأخذ ما يدين الله به مما يراه أسعد بالدليل واظهر في الحجة وأوفق مع النص.

ومن أجل هذا تراه تمهر في المذاهب والخلاف وكل ذلك أظهر فيه ملكة تامة في حل معضلات المسائل؛ وسوف يأتي معنا جملة أعماله انتداب الملك عبد العزيز رحمه الله له إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف للنظر في قضايا متراكمة مستعصية لدى المحاكم فنظر فيها وأنجزها وحمدت سيرته فيها فكان مثار الإعجاب علماً وعقلاً، وحكمة وعدلاً.

لقد كان رحمه الله من كبار أهل العلم ذكاءاً وحفظاً واستقلالاً في الرأي وقوة في الحق لايخشى من إبداء رأيه، واضحاً في مسألة يبحثها. ولهذا كان له مواقف ومحاورات ونقاش وردود مع بعض أهل العلم في مؤلفات ومقالات ومكاتبات هذا في جانب الفقه والأحكام والاستدلال.

أما في التوحيد والعقائد فكان سلفي المعتقد يتحرى بدقة وشدة مذهب السلف الصالح من صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان. حريصاً على نشر وبيانه والدفاع عنه والرد على المخالف، يغار ذلك غيرة شديدة، يصدع بالحق، ويرد على أهل البدع في خطابه وفي كتابه. بل كان يكاتب في ذلك من كان ذا وجاهة مكاتبه خاصة حتى كاتب الزعماء والرؤساء في بيان الحق وتصحيح المعتقد والتنبيه على ما يراه من انحراف.

إضافة إلى اهتمامه المميز في هذين الأصلين العقيدة والأحكام فقد كانت له مشاركات مهمة في كثير من العلوم بل إنها لمشاركات متميزة فالشيخ نحوي لغوي بارع متمكن من اللغة ممسك بناصيتها خبير بالإعراب والآداب.

أما الفرائض فكان بها إماماً علماً، دقيقاً في حسابها غاية الدقة. وله معرفة بالنجوم السيارة ومنازلها والأبراج وأفلاكها والعلم المشروع وهو علم التسيير كما أن له إحاطة بالقبائل والأنساب وأصول الأسر.

أما في الأدب والشعر فله فيه ذوق رفيع فهو يحفظ من عيون الأدب ومقطعات الشعر ما يؤنس به الجليس ويدفع به الملل كما يحفظ من النكت العلمية والطرائف الأدبية والألغاز ما يطرحه على طلابه شاحذاً هممهم فاتحاً لمغاليق أذهانهم مستثيراً لمواهبهم وقرائحهم.

أعمـــاله:

كـان الملـك عبـد العزيـز طيـب الله ثـراه شـديد الإعجـاب بـه وبغـزارة علمـه وسـداد رأيـه وصـفاء ذهنـه وقـوة شخـصيته حتـى قـال عنـه: " لـو أردت أن أولـي بلـداً فيهـا أمـير وقاضـي في شخـصية رجـل واحـد لكـان هـو الـشيخ عبـد الله بـن حميد ".

لقـد بلـغ الـشيخ رحمـه الله في علمـه ومعرفتـه ودأبـه ومثابرتـه مكانـاً سـامقاً ومنزلاً رفيعاً تأهل فيه لكل عمل جليل.

قضاء الرياض:

ومـن ثـم فقـد وقـع نظـر الملـك عبـد العزيـز رحمـه الله علـى الـشيخ ليوليـه قضاء الرياض.

ففـي شـهر المحـرم عـام ١٣٥٧هـ اسـتدعاه الملـك عبـد العزيـز ليكلفـه بالقـضاء فـامتنع الـشيخ امتناعـاً شـديداً حتـى صـار بينهمـا أخـذ ورد وكـان ممـا قالـه الملـك عبـد العزيـز لـئن لم تقبـل لا بعثـك إلى منطقـة نائيـة موبـوءة وكـان ممـا قالـه أيـضاً (ابـن زاحـم – (وهـو الـشيخ عبـد الله بـن عبـد الوهـاب بـن زاحـم [١٣٠٠هـ- ١٣٧٤هـ]. وهـو أحـد قـضاة الريـاض – رحمـه الله رحمـه واسـعة – قـد زحمتـه الأمـور ولـيس لجماعتـك إلا أنـت). فلـم يـزل الـشيخ مـصراً علـى موقفـه ممـا دعـا الملـك عبـد العزيـز أن يقـسم عليـه بـالله العظـيم أنـه أن لم يقبـل ليبعثـه إلى تلـك المنـاطق النائيـة الموبـوءة والملـك قـادر علـى تنفيـذ وعيـده، فمـا كـان مـن الـشيخ إلا الانـصياع؛ فباشـر العمـل وحمـد النـاس سـيرته في القـضاء نزاهـة وتجـرداً، وحكمـة وعـدلاً، فظـل في فـض المنازعـات بـين النـاس؛ وينظـر في قـضاياهم بعـين الإنـصاف وتحـري الحـق واخـتص الـشيخ ابـن زاحـم بقـضايا الباديـة ومـشكلات الـسوق، واخـتص الـشيخ عبـد الله بـن حميـد بمـا عـدا ذلـك

من الدماء والأموال والعقار ونحوها كما كان يقوم أيضاً بعمل الشيخ زاحم إذا سافر أو طرأ عليه طارئ. فظل على ذلك قرابة ثلاث سنين.

قضاء منطقة سدير:

ثم خلف العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد العزيز العنقري (١٢٨٧ – ١٣٧٣هـ) رحمه الله في القضاء عام ١٣٦٠ حيث طلب الملك عبد العزيز من الشيخ التوجه إلى بلدة المجمعة ليحل محله في القضاء والتدريس فما وسعة إلا الإمتثال فتوجه إليها كما سبق في ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ فسار في القضاء سيرته المعهودة من النزاهة والقوة إضافة إلى قيامه بالتدريس في (مسجد ناصر) كما مر صفه. وكان قضاؤه شاملاً لمنطقة سدير كلها.

قضاء القصيم:

بعد وفاة علامة القصيم العالم الرباني الشيخ عمر بن محمد بن سليم عام ١٣٦٣هـ رحمه الله. استدعى الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله بن حميد. وكان الملك مقيماً في الروضة الموسومة (بروضة خريم) شرق مدينة الرياض فبعث الملك للشيخ أحد رجاله وأمره بالتوجه إلى جلالته وكان رأي الملك ثلمة عالم كالشيخ عمر بن سليم لا يمكن أن يسدها من كان ذا كفاءة عالية كالشيخ بن حميد فعند وصول الشيخ أبلغه الملك برغبته في أن يتوجه إلى بريدة قاضيا ومدرساً في منطقة القصيم خلفاً للشيخ عمر بن سليم فامتنع الشيخ امتناعا شديداً وأبدى مختلف الأعذار ولكن الملك عبد العزيز رفض اعتذاره وأصر على إلزامه فقابل الشيخ الإصرار مثله ومما قاله الشيخ (لو وضعت السيف على رأسي ما أمتثلت).

ولما رأى الملك إصرار الشيخ قال إذن سنجعل الشيخ محمد بن حسين (١٣٠٨ – ١٣٨١) رحمه الله وتقتصر على التدريس فوافق الشيخ فشد رحاله

إلى القصيم فوصل بريده يوم الجمعة عشرين ربيع الثاني عام ١٣٦٣هـ ونصب نفسه للتدريس وعقد حلقاته في جامعها الكبير كما سبق إضافة إلى قيامه بالإمامة وخطبة الجمعة في جامع بريده الكبير. (جامع خادم الحرمين الشريفين).

وفي شعبان عام ١٣٦٣هـ صدر إليه التكليف بالقيام بالقضاء من قبل الملك عبد العزيز فلم يسعه إلا الامتثال لما رأى من الأحوال الداعية لذلك فحمدت سيرته في القضاء قوة وعدلاً وسماحة وفضلاً.

الانتداب إلى الحجاز:

في عام ١٣٧٢هـ انتدبه الملك عبد العزيز رحمه الله إلى الحجاز للنظر في قضايا متراكمة إذ كان يوجد في محاكم مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف قضايا عسر البت فيها من قبل قضاة سابقين وطال فيها النزاع وتشابك فيها الخصوم فرأى الملك بثاقب نظره أن ليس لها سوى الشيخ عبد الله بن حميد لبعد نظره، ودقة فقهه، وقوة فصله، فانتدبه للنظر في هذه القضايا فمكث هناك سنة كاملة متنقلاً بين هذه المدن يمكث في كل مدينة المدة الكافية للنظر في قضاياها فأتى عليها جمعيها وامضي فيها حكمه بتوفيق من الله وعونه فحمدت له فيها السيرة ووصل الحق إلى أهلة وخسر المبطلون، فكان له الثناء الجميل من قبل ولاة الأمر والمسؤولين ومن قبل العامة مع ما يرجى أن شاء الله من ثواب جزيل عند المليك المقتدر. ثم عاد إلى القصيم قائماً بعمله في القضاء والتدريس والنظر في أمور الناس وحل مشكلاتهم والسعي في قضاء حوائجهم مما سوف يأتي له مزيد مبسط في أعماله من غير القضاء و التدريس.

واستمر في القضاء حتى أواخر عام ١٣٧٧هـ حيث آثر السلامة وطلب الإعفاء فرفع تلك الرغبة إلى الملك سعود رحمه الله فأجيب طلبه بعد مراجعات وإلحاح شديد ثم تفرغ للتدريس فكثف الدروس والتف حوله الطلاب من كل حدب وصوب على نحو ما سبق ذكره.

ومكث في القصيم حتى عام ١٣٨٤هـ حين انتقل للعمل في مكة المكرمة رئيساً عاماً للإشراف الديني على المسجد الحرام.

وقد أسف أهل القصيم لفراقه فقد عرفوه أباً لصغيرهم وأخاً لكبيرهم فقدوا فيه المعلم ذا الحلقات العلمية المشهورة، المصلح ذا الإصلاحات الكبيرة، وقد كان يبادلهم الشعور نفسه فقد أحبهم وأحبوه ولكن وكما يردد أهل القصيم في أمثالهم (ما طاب لك ما دام لك) غير أنه قد بقي اتصالهم به وثيقاً حتى بعد رحليه وبخاصة في بلدة مثل مكة المكرمة شرفها الله التي تجمع أبناء المسلمين من كل صقع.

مستشار الملك للشؤون الدينية:

في عام ١٣٧١هـ استدعاه الملك عبد العزيز رحمه الله وعرض على فضيلته منصباً رأي مناسبة إحداثه حين توسعت الدولة وتشعبت أمور الحكم ورسخت دعائم الدولة واحتاجت إلى مزيد في تراتيبها الإدارية فاستحدث منصب (مستشار الملك في الشؤون الدينية).

ولكن ما أن علم أهل القصيم بهذه الرغبة الملكية حتى أرسلوا وفداً كبيراً منهم لمقابلة الملك وطلب إبقاء الشيخ عندهم لما رأوه من نفع في البلاد والعباد قضاءً وتدريساً وفتياً وجمعاً للكلمة، فألحوا على الملك في ذلك وهو يتأبى فلما رأى إصرارهم العجيب رق لهم وحمد لهم الصدق تمسكهم فما

كـان مـن الملـك ألا أن جمـع بيـنهم وبـين الـشيخ في مجلس واحـد. ثـم قـال: هـذا هو الشيخ عبد الله وها أنتم أيها الوفد.

ثـم وجـه الحـديث إلى الـشيخ قـائلاً: " هـؤلاء أهـل القـصيم يريـدون عودتـك إلـيهم وأنـا إمامـك ومحتـاج إلى بقائـك عنـدي فـإن اخـترت البقـاء عنـدي فأنـا إمامـك وواجبـك الطاعـة لـب وإن أبيـت واخترتهـم فـالله ربنـا وربـك ". فأجـاب الـشيخ: " أنـا في الـسمع والطاعـة إن أمـرتني بالبقـاء بقيـت وأن أمـرتني بالـذهاب معهم فلا يسعني إلا تنفيذ ما تأمرون به ".

فـسكت الملـك قلـيلاً ثـم قـال: مـادام أنهـم قـد توجهـوا مـن بلادهـم وطلبـوني فـإني أوثـرهم علـى نفـسي عندئـذ عـاد الـشيخ إلى منطقـة القـصيم وقـرت أعيـنهم بعودة شيخهم إليهم.

المكتبة العامة في بريدة:

مـن مـشاريع الـشيخ العلميـة في القـصيم أنـه استـصدر الموافقـة الـسامية لإنـشاء مكتبـة عامـة لمـا يعرفـه رحمـه الله مـن قيمـة الكتـاب وبنـاء طلـب العـــلم عليه.

فلمـا كـان عـام ١٣٧٥هـ أنـشئت المكتبـة مخـصص لهـا بنـاء علـى الطـراز المعمـاري الحـديث في وقتـه فجلـب لهـا أمهـات الكتـب في الحـديث والتوحيـد والفقـه والتفـسير والمـصطلح والنحـو والأدب والتـاريخ والإجتمـاع والـدوريات وغيرها من ألوان الفنون والمعارف.

ومـن أجـل أن يعـود الـشيخ الطـلاب علـى ارتيـاد المكتبـة صـار يعقـد فيهـا بعض اللقاءات العلمية كما مر معنا في تدريسه ودروسه.

كما كان يخصص لنفسه فيها وقتا خاصاً به يرتادها مع بعض خواص طلابه مع بقاء المكتبة مفتوحة في الصباح والمساء ليعتاد الطلاب ارتياد المكتبة وكان يتعاهدها بتزويدها بالكتب.

فلما غادر القصيم إلى مكة ضمت المكتبة إلى وزارة المعارف.

الجامع الكبير في بريدة:

من المعلوم ما عليه المساجد في الجزيرة العربية بعامة وفي نجد بخاصة من بنائها باللبن والطين وسقفها بالجريد وجذوع النخيل مما يجعل بنائها ضعيفاً وعمرها قصيراً فلا يستطيع الصمود طويلاً أمام مياه الأمطار وعاديات الرياح.

وحينما بدأت تظهر في البلاد المواد الجديدة في البناء من الخرسانة المسلحة كان الشيخ رحمه الله من أول المسارعين إلى الاستفادة من هذا الجديد المفيد فكان أول ما سعى إلى إعادة بناء الجامع الكبير فرفع الأمر إلى جلالة الملك سعود رحمه الله فبادر بالإستجابة فتمت إعادة بناء الجامع وتوسيعه على نفقة الملك سعود رحمه الله وأشرف الشيخ وفرغت عمارته عام ١٣٧٩هـ وأستمر على ذلك حتى جاءت إعادة بنائه حديثاً على نفقة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله عام ١٤١٦هـ.

مساجد ومشاريع أخرى.

كما كان للشيخ رحمه الله مساع مشكورة في إعادة وترميم كثير من المساجد في منطقة القصيم ووقف بعض البيوت على الأئمة والمؤذنين وصرف مرتبات لهم قبل أن ينتظم الحال لدى وزارة الأوقاف.

الإشراف الديني على المسجد الحرام:

رأى الملك فيصل رحمه الله (١٣٢٤- ١٣٥٩هـ) أن هناك حاجة لإنشاء جهاز خاص يدير شؤون المسجد الحرام إذ كانت المسؤولية فيه موزعة بين عدة إدارات من وزارة الأوقاف ورئاسة القضاء وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها فرأى أن يجمع ذلك جهاز واحد فكان الرجل المناسب هو الشيخ عبد الله بن حميد فهو يجمع بين العلم والديانة وبعد النظر وحسن التعامل مع أصناف الناس ولعل حسن السمعة التي خلفها حين أنهى القضايا المتخلفة في الحجاز عام ١٣٧٢هـ كانت من وراء هذا الاختيار فلما أبدى الملك فيصل رغبته ما وسع الشيخ إلا الاستجابة وبخاصة أنها أعمال ليست كأعمال القضاء فكان ذلك عام ١٣٨٤هـ. واسم الجهاز الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام.

فانتقل الشيخ من القصيم إلى مكة المكرمة في ذلك العام وباشر عمله ورتب الإدارة واتسعت دائرة اتصالاته بعلماء الحرمين الشريفين وبخاصة علماء المسجد الحرام والمدرسين فيه كما تكثفت اتصالاته بالوافدين إلى المسجد الحرام من أهل العلم والصلاح في مواسم الحج والعمرة. كما شرع الشيخ في التدريس في المسجد الحرام بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم في درس واعظ وحلقة مشهورة وفتاوى رصينة كما مر في الحديث عن التدريس.

وكان من أهم ما أهتم به الشيخ تنظيم شئوون المسجد الحرام في أئمته ومؤذنيه.

فقد كان الآذان متعدداً إذ كان يوجد في كل منارة من منارات المسجد الحرام مؤذن يؤذن فالغي الشيخ ذلك وجمعهم على مؤذن واحد إذ أن مكبر الصوت كاف في إسماع الأذان إلى جميع الأنحاء.

وصار المؤذنون يأخذون نوباتهم من خلال جدول مرتب.

كما كان الشيخ رحمه الله يحب أهل العلم ويكرمهم ويدينهم من مجلسه وبخاصة علماء المسجد الحرام ومدرسوه فقد كانت لهم عنده منزلة خاصة وحظوة متميزة فكان يعتني بهم ويسعى في تهيئة الجو المناسب لهم ليقوموا بمهمة التدريس على خير وجه وسعى في صرف مكافأة لهم تشجيعاً لهم واعترافاً بجهودهم وبفضلهم.

التكبير الجماعي في العيدين:

كان من المعتاد في العيدين أن يقوم المؤذنون في المسجد الحرام بالتكبير قبل صلاة العيد بصفة جماعية بحيث يتحلقون حول المكبر فيؤدون التكبير جماعياً. فلم يستحسن رحمه الله ذلك وأمرهم بالإكتفاء بمؤذن واحد يقوم بالتكبير المشروع في العيد.

معهد الحرم المكي:

عرف عن الشيخ حبه للعلم وسعيه في نشره ورعايته لطلابه وحدبه عليهم وحبه لهم، وعلى الرغم من أن الشيخ تلميذ حلقة وشيخ حلقة ومشجع للحلقات العلمية لكنه رأي بثاقب نظره ما عليه متغيرات العصر وزهد الناس في التعليم الديني وانصرافهم إلى التعليم النظامي بقصد نيل الشهادات وتلمس وجوه الأعمال فاقتضى نظره إنشاء معهد داخل المسجد الحرام ويقوم على طريقة الحلقات لكنه يأخذ من التعليم النظامي محاسنه من حيث الضبط في الحضور والانصراف في المواعيد واستقرار المواد

العلمية التي يرغب تدريسها. ويأخذ من الحلقات تحلق التلاميذ حول الشيخ واقترابهم منه والتفافهم حوله في داخل أوراقة المسجد الحرام مما يعطي صفة خاصة لهذه الدروس مما يرجى معه نيل بركة المكان وفضل العلم.

وبالفعل تم تأسيس معهد الحرم المكي عام ١٣٨٤هـ معادلاً مرحلتي المتوسطة والثانوية واختار له المعلمين العلماء الأكفاء فكان نبتة صالحة.

يخرج نباته بإذن ربه فتخرجت منه الأفواج تلو الأفواج ولا يزال عطاؤه مستمراً وثماره متواصلة من أبناء البلاد وخارج البلاد من بلاد المسلمين كافة.

رئاسة مجلس القضاء الأعلى:

حينما ترك الشيخ القضاء عام ١٣٧٧هـ في القصيم لم يفتأ المسؤولون وفقهم الله يعرضون عليه مناصب عليا ولكنه يأبى لما يدركه - رحمه الله من شدة القضاء وعظمة الوقوف بين يدي الله - عز وجل - فقد عرض عليه رئاسة محكمة الرياض ورئاسة محكمة مكة المكرمة ورئاسة التمييز بالمنطقة الغربية ورئاسة محاكم الإحساء ورئاسة محاكم القصيم فأباها جميعاً طلباً للسلامة. ولكنه قبل أعمالاً إدارية كرئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام ونظراً لسمعة الشيخ وبعد وصيه في القضاء وقوته فيه فلم يفتأ المسؤولون حفظهم الله من المحاولات لإقناع الشيخ بالقبول حتى كان عام ١٣٩٥هـ حيث رغب منه الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - أن يتولى رئاسة المجلس الأعلى للقضاء وهو منصب جديد استحدثه الملك خالد يرحمه الله ليكون المرجع النهائي في القضاء وله مهمات أساسية من الفصل فيما يختلف فيه القاضي مع هيئة التمييز والبت في الأحكام القصاص والحدود وتعيين القضاة وترقيتهم وإعفاؤهم

وإحالتهم للتقاعد بعد استصدار الأمر السامي في ذلك حسب ما نصت عليه أنظمة مجلس القضاء ولوائحه فما وسع الشيخ إلا الامتثال لطلب الملك فتولى رئاسة المجلس وأستمر فيه ووافاه الأجل رحمه الله وهو في هذا المنصب مرجعاً لجميع قضاة البلاد ينظر في توجيه القضاة وتذكيرهم بمهمات أعمالهم حافظاً لحقوقهم حامياً لجنابهم كما كان قوي الموقف فيمن يخالف.

سيرته في القضاء:

لقد رزق الله الشيخ علماً وفطنة، وذكاء ودهاء، وقوة ودقة، يدرك مرامي الألفاظ، ولحن القول، وميل اللحظ، مهيباً في مجلس القضاء لا يطمع قوي في حيفه، ولا يخالف ضعيف من ظلمه، عرف بشدته في الحق، وصرامته في الحكم، ولي القضاء فقام فيه أحسن مقام بالعدل والقوة، وكان له فيه مجلس مرهوب وله ذلك وقائع مشهورة وقصص غريبة.

من ذلك:

أنه حينما تولى رئاسة مجلس القضاء الأعلى مرت به قضية كان قد حكم بها في القصيم قبل ثلاثين عاماً فلما كان القارئ يقرأ عليه الصك الذي دونت فيه القضية إذا هو يمر بعبارة فيها تحريف فما كان الشيخ إلا أن سبح الله واسترجع وقال سبحان الله لقد قلت لهم حينه أن يصلحوا بصغية كذا فسامحهم الله ألم يصلحوا فانظر، كيف كان الشيخ مستذكراً للقضية برمتها وبعباراتها وألفاظها.

المجالس والمؤتمرات والهيئات واللجان التي رأسها وشارك فيها:

- عضو هيئة كبار العلماء في المملكة.
- رئيس المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

- رئيس لجنة جائزة الدولة التقديرية.
- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.
- عضو المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة.

المعهد العالي للقضاء والرسائل العلمية:

الشيخ رحمه الله له تعلق بحلقات التدريس في المساجد فهو يحبها ويعشقها ويعقدها ويعلق عليها آمالاً كبيرة في التحصيل والأثر والثمرة ويرى فيها بركة العلم وآثار الإخلاص إذ إن صاحبها في الغالب لا يتطلع إلى شهادات ولا يروم وظائف مناصب كالتي تقود إليها غالباً الشهادات الممنوحة بالطرق النظامية وأن كان رحمه الله يقدر لكل ذي علم علمه ولكل ذي فضل فضله ففضل الله واسع وفوق كل ذي علم عليم فكم برز من ذوي الشهادات من يشهد لهم بالعلم والفضل وعظيم الأثر.

ومن أجل هذا فإن الشيخ رحمه الله كان حفيا بالتعليم النظامي يقدر أهله ويشجع على الانتساب إليه والالتحاق به باعتباره فرصاً علمية متاحة وصلاح النية وحسن القصد وتمحص الإخلاص مرده إلى العبد وذلك سر بينه وبين ربه.

ومن أجل هذا فإنه حينما أنشئ المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٦هـ في عهد الشيخ محمد إبراهيم رحمه الله طلبوا منه التدريس فوافق واستمر التدريس فيه كل عام.

وكان المعهد يضم صفوة من كبار الطلاب وحملة الشهادات أمثال: د/ عبد الله التركي، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان – والشيخ عبد الله بن منيع، والشيخ صالح الأطرم والشيخ عبد الله بن جبرين وغيرهم كثير.

وحينما بدأت الجامعات السعودية تمنح الشهادات العليا في الماجستير والدكتوراة وطلبوا منه الاشتراك في مناقشة رسائل الطلاب وافق على ذلك.

بل أن أول رسالة علمية في الدكتوراة في الفقه الإسلامي في المملكة نوقشت على يديه رحمه الله وهي رسالة فضيلة الدكتور شرف على الشريف كما كان عضو مناقشة رسالة فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء حالياً.

وفي كل ذلك دلالة على حب الشيخ للعلم، وشدة تمسكه به، وتشجيعه لأهله في أي سبيل سلكوا في تحصيله ما دام إنه طريق مشروع.

الإحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي في قضاء حوائج الناس:

لم يكن الشيخ رحمه الله ممن يؤثر الاحتجاب عن الناس أو يحب العزلة بل كان شيخ عامة متصلاً بالحياة والمجتمع، متواصلاً مع الحكام، حافظاً حقهم، قائماً بواجب النصح نحوهم؛ ناهيك بأن من كان مثله في غزارة العلم والجرأة في الحق إلا ويلتفت الناس حوله وتتعلق به العامة وأصحاب الحوائج وقد تميز بقوة الشكمية، وسداد الرأي، وصواب الفكر.

فتصدى للدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وشد أزر الدعاة ورجال الحسبة.

كان يقوم بالحق، ويأخذ به الناس العامة منهم والخاصة، ولا يخص برأيه أحدا دون الآخر.

وكان يكره الظلم ويقاومه أشد المقاومة، وينتصر للمظلوم، ويجتهد في رفع ظلامته، وإيصال الحق إليه، وانتزاع الحق من الظالم، ومواقفه في القضاء و الاحتساب في ذلك بارزة.

ومـن الجوانـب البـارزة في ذلـك بعـض مكاتباتـه ورسـائله وردوده وحواراتـه لاحقـاق الحـق ورفـض الباطـل لا يخـشى مـن إبـداء رأيـه في مكاتبـات خاصـة أو مـن خـلال وسـائل الإعـلام حـسب مـا تقتـضيه الحـال، ومـن أظهـر مواقفـه التـزام الـسنة وإنكـار البـدع والمحـدثات في الـدين، فقـد كـان لـه في ذلـك قـدم صـدق وغـيرة علـى سـلامة المعتقـد ونهـج الـسلف الـصالح، يقـرر ذلـك وينـافح عنـه في دروسه وحلقاته ومكاتباته ومؤلفاته وفي مجالسه ومناظراته.

أمـا في بـاب الحـوائج وأمـور النـاس فكـان ذا رفـق وتـؤده، يحنـو علـى الـضعفاء، ويرفـع مـن شـأن المستـضعفين، فهـو كـثير التـودد لا يـؤذي أحـداً ولا يحسد أحدا. ويسعى في الشفاعة لمن لا يملك أن يبلغ حاجته بنفسه.

واقعـــــة حوار:

عـرف عـن الـشيخ رحمـه الله أنـه حـين يأخـذ في إيـضاح المـسائل وتعقيـد القواعـد وتقـديم الأدلـة وإيـراء الاعتراضـات في المـسائل تـراه يلتـزم بالأسـلوب العلمـي الهـادئ الرصـين مـع وضـاحة في اللفـظ، وبلاغـة في العبـارة، ودقـة في تخـير الكلمـات. ومـن مزايـا مناظراتـه إنـه يتجنـب الخـوض في دقـائق الجزئيـات والتفـصيلات الـتي يتـسع فيهـا مجـال الخـصام والجـدال بـل يعتمـد علـى نـصوص الـوحيين (قـال الله وقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم) ثـم علـى البـديهات الجليـة في الأدلـة ، والمـسلمات، وعلـى التناقـضات الواضـحة لـدى المحـاور الـتي لا تحتمل تأويلاً.

وشخـصية مثـل شخـصية ابـن حميـد رحمـه الله تميـزت بعلمهـا وقوتهـا كجبـل شـامخ لا يـسلم مـن ارتطـام الأمـواج في قاعـة وسـفحه ، وبخاصـة في مثـل موقعـه في المـسجد الحـرام ومواسـم توافـد النـاس في الحـج والعمـرة بمـا فـيهم العلمـاء مـن كـل الفـرق والمـذاهب فلقـد كـان يتوافـد فيمـا يتوافـد

المخالفون ويحاولون إثارة بعض المسائل العلمية والخلافات المذهبية وقد يدفعهم إلى ذلك ما يظنون من عدم معرفة علماء الحرمين الشريفين بمذاهبهم ومصادرهم فكان ذلك يحتاج إلى شجاعة علمية، وحمية دينية، وصبر ومصابرة، وحجة ناهضة ولقد وهب الله الشيخ كما سبق – سلاحا مضاء في اليد في هذه المناظرات، ونفساً طويلاً في هذه المحاورات.

وهذا نموذج من إحدى المناظرات التي عقدت في المسجد الحرام واستمر ثلاثة أيام.

في عام ١٣٨٨هـ وبينما كان فضيلته يلقي الدروس بعد المغرب في المسجد الحرام خلف مقام إبراهيم في موسم الحج وفي حشد عظيم تغص بهم حلقة الشيخ من طلبة العلم والحجاج وغيرهم في عشر ذي الحجة كان موضوع الدرس قوله عليه الصلاة والسلام: (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله. الحديث) فبين الشيخ معنى كلمة التوحيد، وما أثبتته من إخلاص العبادة لله وحده، وما نفته من عبادة ما سواه، وبيان شروطها فبينما هو كذلك إذ تقدم رجل من علماء إيران مدرس في جامعة قم يسمى (السيد محمد) فسأل الشيخ قائلاً: ما تقول في طلب المدد من أهل البيت، وسؤالهم تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات نظراً لمكانتهم عند الله ومالهم من المنزلة السامية؟ فأجاب فضيلته: بأن هذا هو الشرك بعينه، وهو الذي نفته كلمة الإخلاص لا إله إلا الله. والذي بعثت من أجل النهي عنه رسل الله. فقال محمد: لا أسلم لك هذا حيث إن طلب المدد منهم ليس هو عبادة وإنما هو شفاعة منهم لي عند الله فلا يصل إلى حد الشرك. فرد فضيلته هذا هو عين العبادة. وسمه ما شئت أن تسميه فما دام العبد يصرف إلى المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله من تفريج الكربات وطلب العون من غيره فهذا هو الشرك.

مع أن الشفاعة لا يجوز طلبها من الأموات ولا من غيرهم وإنما تطلب من الله، فطلب الشفاعة من غيره شرك كما قال تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) وما ذكرت عن أهل البيت وغيرهم رضوان الله عليهم من أنهم يملكون الشفاعة وأن تطلب الشفاعة من غير الله ليس شركاً...يرده قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى...) فالآية تدل على أن مشركي العرب ما كانوا يعبدون معبوداتهم من دون الله إلا ليقربوهم إلى الله زلفى لأنهم يعتقدون النفع أو الضر فيهم.

فقال المناظر: فهمت هذا كله ولكن ما تضع في قوله صلى الله عليه وسلم: (لو أعتقد أحدكم في حجر لنفعه). فرد عليه الشيخ: عليك إثبات هذا الحديث ومن رواه. فإنك لا تستطيع أن تجد له أصلاً. ولا في حديث صحيح ولا ضعيف ولا باطل فاستمرت المناظرة ثلاث ليال متوالية. ثم انتهت باعتراف المناظر وتسليمه على مرأى ومسمع من الآلاف العظيمة من الحجاج في المسجد الحرام بأن ما قاله الشيخ هو الحق، وقد لمس الحضور انقطاع حججه وعجزه عن تأييد رأيه، ومد المناظر يده وقبل رأس الشيخ، وشكره عدد من الحضور القريبين منه ورجا الشيخ أن يقبل منه هدية، فقال الشيخ إنني أقبل هديتك بشرط أن أثيبك عليها بهدية مثلها.

الصحافة والإذاعة:

قلنا إن الشيخ رحمه الله رجل عامة كما هو رجل علم ودعوة ولهذا فهو لا يدع مجالاً.. يمكن أن يقول فيه كلمة حق أو دعوة خير أو أمر بمعروف أو نهياً عن المنكر إلا وسلكه. والصحافة والإذاعة كانت في أوائل ظهورها وبزوغها وكان الشيخ من المبادرين في الإسهام فيها وتبليغ الحق والعلم للناس من خلالها فله نشاط في الصحافة ملحوظ من كتابة المقالات

والتوجيهات والردود على ما يرى من مخالفات وله في ذلك باع طويل سوف نذكر نماذج منه إن شاء الله.

أما الإذاعة فكان لديه إسهام كبير وبخاصة من الإجابة على فتاوى المستفتين في برنامج عام كان هو أحد أركانه وهو برنامج نور على الدرب وهو برنامج إذاعي له صيته فكان الشيخ رحمه الله من أوائل من شارك فيه حتى توفاه الله.وهناك برنامج خاص للشيخ عنوانه (أسألوا أهل الذكر) يجيب فيه على أسئلة السائلين الفقهية والاجتماعية. وقد عرف الشيخ بدقة الإجابة في الفتوى بل أنه يعيد سؤال السائل كاملاً غير منقوص عن ظهر قلب لأنه كان كفيف البصر وحين تسمع فتوى الشيخ أو تقرأها فإنك تدرك غزارة العلم وأصالة الرأي وعمق التفكير ودقة العبارة وقوة الدليل وشمول المقارنة فيما يحتاج فيه إلى إيراء المقارنة بين أقوال العلماء ومذاهبهم. وعبارة سهلة، وبيان جزل، ومعنى واضح، وبعد عن الغموض والتكلف والإبهام، بحيث يفهم السامع والقارئ المراد مباشرة وهذه ميزة تميز بها الشيخ وتحدث بها القاصي والداني.

الشيخ مع زواره وضيوفه:

لم يكن الشيخ رحمه الله من العلماء الذين يحصرون أنفسهم في ميادين ضيقة أو يكتفي بمجالس العلم والتعليم بل كان متصلاً بالحياة والأحياء والمجتمع في نواح شتى ومن أهم أغراضه في ذلك الدعوة إلى الله والاستماع لحوائج الناس، والسعي في قضائها ورفع المظالم عنهم وإيصال الحقوق إلى أهلها ومن أجل هذا كان بيته مفتوحاً ومقصداً للقاصي والداني والصغير والكبير فترى في مجلسه العالم والأمير والوجيه والأديب والتاجر والفلاح وكل طبقات المجتمع بدون استثناء وكل يأنس بمجلس الشيخ، ومن حكمة الشيخ ودماثة خلقه ولطف معشره أن خصه الله عز وجل بالقدرة

علـى التحـدث مـع كـل واحـد بمـا يناسـبه فلـو رأيتـه وهـو يتحـدث مـع الأمـي العـامي ليـسأله عـن أحـوال بلـده أو طبيعـة عملـه بـل لعلـه أن يـسأله عـن أهلـه وأسـرته فللـشيخ إلمـام كـبير بمعرفـة القبائـل والأسـر وأصـولهما مـع مـا تميـز بـه من حفظ عجيب للأسماء والقبائل والأسر وتاريخها.

ولـو رأيتـه في المطارحـات الأدبيـة والمقطعـات الـشعرية في سـردها ونقـدها وإصـلاح أوزانهـا وحـل غوامـضها واستحـسان الحـسن ورد المعيـب بـل أن بعـضهم قـد يخـص مجلـس الـشيخ بمـا جـادت بـه قريحتـه ليلقيـه بـين يـدي الـشيخ راغبـا في التـصويب والتوجيـه، فالـشيخ في ذلـك لديـه حاسـة ذواقـة، ومعرفـة واسـعة باللغة وفقها ودقائقها فهو الخبير بالإعراب والآداب.

أمـا أذا جـاءه أصـحاب المقامـات والمنـازل مـن الأمـراء والوجهـاء فإنـه ينـزلهم منـازلهم ويعـرف لهـم حقهـم ممـا يجعلـهم يـدركون مـا يخـصهم بـه الـشيخ مـن الاحـترام والتقـدير الـذي يتطلعـون إليـه ومـن ثـم فـإنهم يعـاودون الحـضور إلى مجالس الشيخ مما يفيد منه الشيخ في إيصال ما يريد من حق أو دفع ضده.

كمـا كـان كريمـاً ذا بـذل فقـل أن يـأتي غريـب زائـر أو عائـد مـن سـفر ألا ويـدعوه الـشيخ إلى مأدبـة يقيمهـا في بيتـه ويـدعو لهـا جميعـاً مـن النـاس ممـا يتناسب وطبقة الضيف فهو كريم مفضال قد أشرع بيته للضيوف والغرباء.

الشيخ في بيته:

لعـل مـا مـر مـن صـفات الـشيخ وطباعـه وأخلاقـه في هيبتـه ووقـاره وانـشغاله بـالعلم وكثـرة أعمالـه الرسميـة وغـير الرسميـة وتعلـق النـاس بـه خاصـيتهم وعـامتهم كـل ذلـك قـد يـدعو المطلـع علـى سـيرته أن يتـساءل عـن حـال الـشيخ في بيته ومع أولاده وأسلوبه في التربية.

الشيخ رحمه الله استطاع – بتوفيق الله له – أن يجمع بين الهيبة والوقار وخصائص طالب العلم وبين الأب المربي الحاني الرقيق الشفيق فإن شئته مهيباً وقوراً محافظاً على الإنضباط في البيت فترى من ذلك العجب وأن شئته أباً حانياً قد انطلق مع أولاده وأهله في أحاديث أسرية ومداعبات مع الصغار بحيث يلتفون حوله ويرغبون في مجلسه ويأنسون بأحاديثه فأنك واحد في ذلك شيئا كثيراً.

وأنك لتستغرب كيف يجد الشيخ الوقت لمثل هذا مع ما مر بك من وصف دقيق لأعماله وأيامه.

وأكثر ما تكون جلسات الشيخ مع أولاده في مواعيد الطعام وله جلسة بعد العشاء يتحلق حوله الأهل والأولاد يتم فيها مجاذبة أطراف الحديث على نحو ما يجري لدى الناس في بيوتهم غير أن جلسات الشيخ تتميز في كثير منها بحرص الشيخ فيها على التوجيه والتربية وبيان بعض الأمور والأحوال لابنائه وبناته مما ينبغي أن يستمسكوا به من أهداب الدين وكريم الأخلاق وما ينبغي أن يجتنبوه من سيء الأفعال وذميم الأخلاق والبعد عن قرناء السوء.

كما أن الشيخ يجمل مجلسه الأسري بشئ من الأدب والحكايات التاريخية والقصص ذات المغزى والمقطعات الشعرية وقد يطرح بيتاً من الشعر أو أبيات فيطلب من أولاده تقطعيه على أوزان بحور الشعر وهو يلقي الشعر عليهم بطريقة خاصة ذات تنغيم جميل موزون ، ومن أجل هذا تعلق الصغار بأوزان الشعر وبحوره وأوجد بينهم منافسة علمية جميلة.

ولمزيد من الإيضاح والتفصيل فإن الشيخ ذو حرص ومتابعة وعناية فائقة في كل ما يجري حوله من شؤون البيت والأهل والأولاد غير أن له عناية خاصة بأربعة أمور:

أولهما: المحافظة على الصلاة جماعة في المسجد فإن الشيخ في ذلك الوقت يقف من أبنائه موقفاً صارماً لا يقبل فيه التساهل أبداً ويغضب غضباً شديداً ويؤدب أدباً رادعا لو حصل تقصير أو تساهل. أجزى الله له المثوبة وتغمده بواسع رحمته.

الثاني: التعليم فالشيخ كما سبق ، يحب العلم ويحرص عليه ويقدره ومن ثم فقد كان حريصاً على أولاده ليحصلوا من العلم قدر طاقتهم ويبذلوا فيه غاية وسعهم ، وقد انتظموا كلهم في المدارس فكان يتابعهم متابعة عجيبة ولا يرضى أن يتخلف أحد عن المدرسة ولا يتهاون في ذلك أو يتساهل كما كان متابعاً لهم في مسؤولياتهم المدرسية وواجباتهم المنزلية بشكل عجيب ما أعطاه الله من هيبة في ذلك.

الثالث: القرناء والأصدقاء: لقد كان الشيخ حريصا جدا على معرفة قرناء أبنائه وجلسائهم وأصدقائهم ومن يرفقهم وله في المتابعة والمساءلة طريقة خاصة بالأسلوب المباشر وغير المباشر.

الرابع: توجيه أبنائه لحسن استقبال الضيوف والأدب معهم واحترامهم وتوقيرهم وتقديرهم والعناية واللباقة في التحدث إليهم وله في ذلك حسن توجيه ومتابعة.

هذه إلمامات عن حال الشيخ في بيته والعلم فأن الشيخ خلف تسعة أبناء وأربع بنات وأبناؤهم هم :

محمد وعبد الرحمن وعبد العزيز وصالح وأحمد وسعد وإبراهيم وعبد الوهاب وعبد المحسن. رحمه الله رحمة واسعة ورفع درجاته في عليين وأصلح عقبه إنه سميع مجيب.

تلاميذه وطلابه:

تقدم الحديث عن علم الشيخ وفضله وطرقه في التدريس وحدبه طلاب العلم وحبه لهم وحرصه المتناهي عل إفادتهم وشحذ هممهم وغرس روح التنافس العلمي وبينهم ومن المعلوم لدى الخبير أن مثل هذه الأجواء العقبة بروائح الطيب النفاذة يجذب وتجلب الطلاب من كل مكان ومن أجل هذا كان رحمه الله مقصداً للطلاب بفدون إليه فتلقى العلم عليه جمهرة كبيرة سمعوا منه وتفقهوا عليه وانتفعوا بعمله فكم من طالب أرشده إلى السبيل السوي في الأدب والعلم وهداه إلى المظان في المراجع والمطالعات ناهيك بالكثير والكثير ممن يستفيد من مثل هذه المجالس بالواسطة في توجيه غير مباشر ومن أجل ذلك كله فقد هيأ الله له جمهرة من الطلاب والتلاميذ يلتفون حوله وينهلون من معين علمه يسجلون أقواله ويدونون آثاره ويتأثرون بفعاله ويقيدون فوائده يزينون بها أنفسهم ثم يبلغونها للناس في حلقات المساجد ومقاعد الطلبة في المدارس والكليات والمعهد العالي للقضاء وجامعة أم القرى ومن أشهر تلاميذه.

- الشيخ عبد العزيز بن صالح أمام المسجد النبوي ورئيس المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة وعضو هيئة كبار العلماء وعضو مجلس القضاء الأعلى – رحمه الله – .
- الشيخ محمد بن عبد الله بن عودة السعود عضو رئاسة القضاء ورئيس محكمة الرياض ورئيس محكمة الدمام والرئيس العام لتعليم البنات.

- الشيخ محمد بن عبد الله السبيل إمام المسجد الحرام وخطيبه والرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي عضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد وعضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.
- الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم (رحمه الله).
- الشيخ محمد بن ناصر العبودي أمين عام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي.
- الشيخ حمود بن عبد الله التويجري قاضي الدمام والزلفى وصاحب المؤلفات المشهورة (رحمه الله).
- الشيخ صالح الأطرم عضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن غصون رئيس محكمة الإحساء وقاضي التمييز بمحكمة التمييز بالرياض وعضو مجلس القضاء الأعلى.
- الشيخ الدكتور صالح السدلان بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ عضو هيئة كبار العلماء والمفتي العام للمملكة وخطيب يوم عرفة.
- الشيخ صالح البليهي صاحب كتاب السلسبيل والمدرس بالمعهد العلمي ببريدة (رحمه الله).

- الشيخ صالح السكيتي المدرس بالمعهد العلمي ببريده يرحمه الله.
- الشيخ الدكتور على بن مرشد الرئيس العام لتعليم البنات سابقاً .
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الكلية رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.
- الشيخ صالح بن عبد العزيز الغصن مدير مكتبة الشيخ المترجم.
- الشيخ عبد الله السليمان الحميد قاضي جيزان والبكيرية وغيرهما رحمه الله.
- الشيخ عبد العزيز الفوزان رئيس محكمة جيزان وقاضي التمييز في المنطقة الغربية رحمه الله.
- الشيخ عبد الله المسعري رئيس المظالم سابقاً .
- الشيخ حمد الحقيل رئيس محكمة الخرج.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله التويجري.
- الشيخ عبد الرحمن بن دهش قاضي قبة.
- الشيخ سليمان بن أحمد قاضي محكمة بلجرشي.
- الشيخ علي المشيقح مساعد رئيس محكمة بريدة.
- الشيخ سالم مساعد رئيس محكمة بريدة رحمه الله.
- الشيخ علي الضالع المدرس بالمعهد العلمي ببريدة رحمه الله.
- الشيخ عبد الله الخضيري قاضي محكمة عفيف والمدرس بالمعهد العلمي بالمدينة.
- الشيخ عبد الله المحسن المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الشيخ سليمان بن ناصر العبودي.
- الشيخ عبد الله بن عثمان بن بشر قاضي محكمة التمييز في الرياض.
- الشيخ القاضي إبراهيم الجبيلي قاضي دخنه.

- الشيخ القاضي إبراهيم الزغيبي.
- الشيخ عثمان بن حمد الحقيل مدير عام رئاسة القضاء.
- الشيخ صالح القرعوي القاضي بمحكمة التمييز بمكة المكرمة.
- الشيخ القاضي محمد بن جابر.
- الشيخ على بن فايز الدغيري.
- الشيخ القاضي يعد بن إسحاق.
- الشيخ عبد العزيز المسند رئيس تعليم البنات الكلف ووكيل وزارة التعليم العالي.
- الشيخ مقبل العصيمي قاضي الحريق.
- الشيخ سليمان الربيش قاضي التمييز في الرياض.
- الشيخ عبد الرحمن بن سحمان قاضي التمييز في الرياض.
- الشيخ محمد بن الأمير عضو مجلس القضاء الأعلى.
- الشيخ محمد المنصور.
- الشيخ صالح بن مطلق.
- الشيخ القاضي أحمد بن علي الحميدان.
- الشيخ صالح بن عمر بن مرشد رحمه الله.
- الشيخ عبد الفتاح حسن راوة المدرس بالمسجد الحرام.
- الشيخ عبد الرحمن الجار الله القاضي في بريدة.
- الشيخ عبد الله السليمان البطي القاضي في بريدة.
- الشيخ عودة بن عبد الله بن عودة السعودي.
- الشيخ ناصر الهويمل رحمه الله.
- الشيخ صالح المقيطيب.
- الشيخ حمود الفائز. رئيس ديوان المظالم .

- الشيخ عبد العزيز الربيعة عضو مجلس الشورى.
- الشيخ محمد الأمير.
- الشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود.
- الشيخ عبد الله بن زايد رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً ..
- الشيخ صالح النجيدي قاضي التمييز بالمنطقة الغربية.
- الشيخ غيهب الغيهب.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز القفاري القاضي في محكمة الرياض .
- الشيخ سليمان بن إبراهيم الرشودي.
- الشيخ حمد الجنيدل.
- الشيخ سعود بن دريب وكيل وزارة العدل سابقاً رحمة الله .

مكتبته:

من المعلوم ارتباط طالب العلم بالكتاب والمكتبة ولكن الشيخ رحمه الله كان في هذا الباب

نادراً من النوادر فقد كان تعلقه بالكتاب شديداً وكان شغوفاً بالكتب إلى حد عظيم فكان كثير السؤال عن الكتب في شتي الفنون يسأل عنها وعن الجديد من مطبوعها فإذا ما ذكر له كتاب فإنه يحرص على اقتنائه مهما غلا ثمنه ومهما بعد مناله حتى أنه كان يسأل وفود الحجاج والعمار الذين يلتقي بهم عن الجديد مما طبع في بلادهم. وبهذا جمع منذ حداثة سنه بعون الله وحسن توفيقه ولطف تيسيره من نفائس المصنفات وذخائر الكتب في فنون التوحيد والتفسير والفقه والحديث وعلوم العربية والتاريخ والأدب وغيرها مما تكون به لديه مكتبة قيمة تحتوي تقريباً على خمسة عشرا ألف عنوان مطبوع وعلى ثلاثمائة مخطوط.

مؤلفاته:

لم تكن مؤلفات الشيخ رحمه الله مما يتناسب مع عمله الواسع وبذله الكبير وجهده في التحصيل والمطالعة والإقراء والتدريس وقد يرجع ذلك إلى أمرين كبيرين.

أحدهم: ما نشأ عليه وما تلقاه من مشايخه من عدم الاحتفاء بالتأليف تواضعاً واكتفاء بما وضعه العلماء الأقدمون فإن الشيخ رحمه الله ومشايخه من أئمة الدعوة من المقلين في التأليف جداً وكان لسان حاله وحالهم يقول هل لدينا وقت كاف لنقرأ كل ما كتبوا أو بحيط ببعض ما دونوا.

ثانيهما: الانصراف التام للتعليم والتدريس وقضاء حوائج الناس والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إضافة إلى أعماله الرسمية وعضويته ورئاسته لكثير من المنظمات والمجامع والمجالس والهيئات مما لا يدع وقتاً للإنتاج المتناسب مع هذا العلم الغزير والفهم العميق ومع هذا فقد بارك الله في وقته فخلف من تحرير بعض المسائل والمشكلات والنوازل الفقهية أو التوجيهات من خلال وسائل الإعلام المتعددة كما أنه له وقفات ومناقشات ومطارحات مع بعض أهل العلم في مسائل خلافية دونها في رسائل يرد عليها فيها على بعض من أختلف معهم فيها كما أن له فتاوي على نوعين:

الأول: فتاوي مكتوبة حررها بنفسه رحمه الله تمس المستجد من الوقائع والنوازل أو تحرير بعض المسائل التي كان فيها خلاف بين المتقدمين فدلل فيها وعلل ثم رجع ومن المطالعة فيها يتبين علم الشيخ رحمه الله ودقة فقهه

وعمق سيره لغور المسائل وفهم النصوص ولعل الله أن ييسر نشرها قريباً فهي في طور الإعداد للطباعة أن شاء الله.

الثاني: فتاوي هي إجابات على أسئلة السائلين أما من خلال دروسه في مواسم الحج والعمرة أو من خلال البرامج الإذاعية مثل نور على الدرب وبرنامج أسألوا أهل الذكر. وهذه متداولة بين الناس في أشرطة.

وقد تم تفريغها ويجري تحريرها لعل الله أن ييسر نشرها. ومع ذلك فقد صدر له رحمه اله في حياته جملة من الرسائل والمؤلفات المختصرة والمقالات في الصحف وهذا إجمال لها:

١- إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويزه لذبح دم التمتع قبل نحره. (توضيح لمسألة حكم تقديم هدي التمتع قبل يوم النحر).

٢- غاية المقصود في التنبيه على أوهام بن محمود (تتعلق بحكم الأضحية عن الميت ووصول الثواب إلى الأموات).

٣- تبيان الأدلة في أثبات الأهلة. (في حكم الأهلة واختلاف المطالع بين البلدان).

٤- الرسائل الحسان في نصائح الأخوان. (مجموعة مقالات توجيهية).

٥- الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة.

٦- توجيهات إسلامية. (مجموعة مقالات توجيهية).

٧- كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.

٨- هداية الناسك إلى أحكام المناسك.

٩- دفاع عن الإسلام واشتراكية حرام. (في حكم الاشتراكية).

١٠- الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.

١١- الاشتراكية في الإسلام.

١٢- حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.

١٣- نقد نظام العمل والعمال.

١٤- رسالة بحكم التلفزيون.

١٥- فتاوي (مخطوط – وهى تحت الاعداد للطبع).

١٦- رسالة في التوحيد.

١٧- تنبيهات على أن جده ليست ميقاتاً.

كتب طبعت بمشورته أو إشرافه أو تقديمه:-

١- تنبيه الغافلين لابن النحاس.

٢- المجموعة العلمية السعودية.

٣- غاية الأماني في الرد على النبهاني.

٤- معارج الألباب في مناهج الحق والصواب.

٥- صيانة الألباب في مناهج الحق والصواب.

٦- تهذيب الآثار بن جرير الطبري.

٧- منسك الإمام بن تيمية.

مرضه ووفاته:

من صفات الشيخ رحمه الله أنه كان جلداً لا يشتكي ولا يتأوه ويتحمل من الصبر ما لا يتحمل غيره حتى كان يعتل العلل الشديدة ولا يكاد يبدو ذلك عليه أو يثنيه عن أعماله مهامه وقد عاش الشيخ رحمه الله ثلاثاً وسبعين عاماً. وأصيب في منتصف عام ١٤٠١هـ بمرض السرطان ورغب منه ولاة الأمر – حفظهم الله – السفر إلى أمريكا مع أنه لم يخرج خارج البلاد طول حياته قط فنزل على رغبتهم فسافر مرتين في مدة متقاربة وقد كان على درجة من التحمل والصبر وعدم الشكوى والأنين مع أن هذا المرض ذو آلام شديدة ولكنه كان صابراً محتسباً بل كان يستقبل زواره ويتحدث إليهم في كل شأن في أمورهم الخاصة والعامة بل كان يتابع أعماله الرسمية والبيتية بشكل عجيب بل كان يهتبل الفرص لإلقاء الكلمات التوجيهية والتذكيرية وبخاصة حينما يزوره كبار المسؤولين فإنه يذكرهم بمسؤلياتهم ولا سيما فيما يتعلق بشأن الإسلام والتأكيد على الاستمساك بالعقيدة وأن هذه البلاد لم تقم ولم يعزها الله ألا بالعقيدة. كل ذلك وهو يعاني ما يعني من الآلام المبرحة حاله يقول: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) حتى إن الأطباء المعالجين كانوا يتعجبون من شدة تحمله وتجلده حتى قال أحدهم وهو أمريكي إني لم أر في حياتي مثل هذا الرجل إذا دخلت عليه كأنه لا يشكو من أي مرض مع أني أعرف نوع المرض ومدى تأثيره النفسي والعضوي على صاحبه.

وبعد عيد الفطر عام ١٤٠٢هـ اشتد عليه المرض وهو صابر محتسب لا يظهر عليه شكوى ولا جزع وفي يوم السبت ١٦ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ دخل في غيبوبة إلى أن وافاه الأجل يوم الأربعاء الساعة الثالثة بعد الظهر يوم

٢٠ ذي القعدة من عام ثنتيين وأربعمائة وألف ١٤٠٢/١١/٢٠هـ في مستشفى الهدا في الطائف.

وصلى عليه يوم الخميس في المسجد الحرام بعد صلاة العصر ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة واخلفه في عقبه خيراً لقاء قدم لدينه وأمته وللعلم وأهلة وقد كان يوم وفاته يوماً مشهوداً ينطبق عليه قول الإمام أحمد رحمه الله: (موعدكم يوم الجنائز).

كان فيه الأمراء والعلماء والوزراء والمسؤولون وطلبة العلم ومحبو الشيخ من الخاصة والعامة. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

مما قيل في الشيخ – رحمه الله – نثراً وشعراً:

أولاً: من النثر:

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وهو زميله في الدراسة وعضده في العمل: (لقد ترك الشيخ أثراً كبيرا وفراغا عظيماً لغزارة علمة وكثرة فضله واهتمامه بأمور المسلمين وتوجيههم للخير عن طريق الكتابة والخطابة والوعظ العام لقد كان رحمه الله زميلا لي في طلب العلم والتحصيل ودراسة المتون ومراجعة الشروح والمعاني والأحكام وحل الإشكالات ومن هنا ربطني بالشيخ عبد الله رحمه الله علاقة متينة ازدادت على مر الأيام في المذاكرة والتعاون على البر والتقوى لولاة الأمور والمسلمين. قال ولقد تأثرت بوفاته كثيراً لأنه من أخص أحبائي ومن أميز أهل العلم الذين تعاونت معهم خصوصاً وأنه بالحق ودعوتهم إلى الالتزام بأحكام

الشريعة والحذر مما يخالف ذلك وكان رحمه الله غاية في تحري الحق والعناية بالأدلة في ترجيح ما يوافق الحق من مسائل الخلاف.

يقول سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي وعضو هيئة كبار العلماء.

(لقد كان والدنا سماحه الشيخ عبد الله بن حميد من أبرز علماء المملكة العربية السعودية ومن أشهر قضاتها المحبين للخير الذين يحكمون بين الناس بالعدل. فقد كان حريصاً على إلقاء الدروس في التفسير والحديث والفقه واللغة العربية وغيرها من المواد الدينية التي استفاد منها كثير من الذين كانوا يحضرون دروسه.

أما الصفات التي كان يتصف بها سماحته فهي صفات حميدة فقد كان – يرحمه الله – ذكياً ذا فطنة ولباقة وحضور ذهني دائم وبديهة فائقة وذا قدرة على معرفة الشخص بصوته ولو مر عليه من قبل مرة واحد قبل عشر سنوات... يضاف إلى ذلك أنه يمتاز بالأناة والتروي.. لا يندفع أبدا في أي مشكلة وإنما يعالجها بكل ترو لكيلا يظلم أحداً أبداً ويضيف سماحة الشيخ السبيل: كان لسماحته منهجا مميزاً في سماع أي سؤال من أي سائل، حيث أنه قبل أن يشرع في إجابة هذا السؤال يتحقق من السائل ليستوضح منه الموضوع، والتأكد منه قبل أن يجيب.

وقد درست على يدي سماحته الفقه والحديث واللغة في مدينة بريدة واستفدت منه جداً ومن أسلوبه في التدريس وإجابة أسئلة أي سائل. وأثناء

ملازمتي له في مكة المكرمة بعد أن عين رئيساً عاماً للإشراف الديني على المسجد الحرام استمريت أطلب العلم في حلقات دروسه واستفدت من فتاويه وتوجيهاته وتصرفاته الحكيمة.

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

بقلم الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط

عندما تجدب الأرض ويضربها المحل نتيجة لإنقطاع الوابل الصيب عنها يصوع النبت وتذوي الزروع ويكون وراء ذلك الكساد وتدهور الوضع في المجتمع. وهذا مثل نضربه للعلماء في المجتمع إذ هم في الواقع كالوابل الصيب في تتابع هطوله وكثرة انصبابه فإذا حرم المجتمع منهم وأقفزت الأرض من عدم تعاهدها بسقيهم وامتداد أروائها بغيثهم ساد الجهل وأمتد رواقة ومشي الناس في ظلام دامس وتخبط دون الوصول إلى المهيع ودون الحصول على ركيزة يتخذونها رصيداً للسعادة وعدة لقطع أشواط الحياة على هدف وبصيرة.

وهذه المقدمة نكتبها لموت العلماء والحرمان بسبب ذلك من ميراث الأنبياء ثم أتخاذ خلف لا يرتقي إلى مثل ما ارتقي إليه العلماء الموهوبون والهادون بهداية الله إلى سبيل الله السوي. ومن ثم كان في موت العلماء خسارة وبعدهم نكبة لا تعد لها أية نكبة مصداق ذلك الحديث النبوي الشريف الذي رواه الشيخان والترمذي مرفوعاً عن ابن عمر (أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى

إذا ما لم يبق عالم أتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).

وأي خسارة أعظم من الضلال أي مصيبة تقع في حساب المجتمع لا يجد لها عزاء ولعلنا في الكثير من الأحيان نجد هذا الحديث الشريف يصور الواقع المؤلم المرير وذلك حين يمشي السائل باحثاً عن مسألة من مسائل العلم فلا يجد من يظفره بطلبته أو يسعفه بحاجته بل قد يجد العكس يجد من يفتيه بغير علم ودراية فيعمل بفتواه وهي لا تواصله إلى الله بل تبعده عن الحق الذي يتوخاه.

وإن من النذر التي تطالع كل من يتلو كتاب الله الإشارة إلى موت العلماء حيث يقول رب العزة (أو لم يروا أنا نأتي ننقصها من أطرافها).

جاء في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية:

(خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها) وكذلك قال مجاهد أيضاً (هو موت العلماء).

قال أحد الشعراء في هذا المعني

الأرض تحيا إذا ما عش عالمها متى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وان أبي عاد في أكنانها التلف

أجل كيف يهنأ بالإستقرار من انتقص من أرضه وبقي في وجل من هذا الإنتقاص الذي لا يقف عند حال فكلما طال الزمان هوى من كان نوراً

وبهاءً لها وكلما ظن الناس أنهم أمنوا من خطر الإنتقاص عادوا فرأوا إعادة الكرة المرة بعد المرة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بالأمس القريب كان بيننا عالم من أبرز العلماء وأكثرهم إضطلاعاً بمهمة العالم الموجه الهادي بهداية الله والداعي إلى سبيل الله. أنه سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد فبكته القلوب قبل العيون وشيعه إلى مثواه الأخير العارفون بقدره المقدور لعلمه الواقفون على مواهبه الذين قضوا أمد في ظلال توجيهاته سواء ما كان منها في حلق الدروس يتصدرها أو على موجات الأثير أو في المواعظ العامة والكتب ووسائل الإعلام.

وكم كانت الخسارة بفقده عظيمة وكان لطلاب العلم صدمة عنيفة بل وللمجتمع أجمع ذلك لأن الفراغ الذي تركه فراغ كبير. وعزاء الجميع بفقده الصبر فالصبر عدة المسلم في كل شدة أملا فيما أعده الله للصابرين من حسن الجزاء يصوره قول رب العزة (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا أنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون).

لقد ضمتني بسماحته رحمه الله اجتماعات وإن كانت محدودة إلا أنني من خلالها سبرت غور سماحته وقدرت سعة علمه وأكبر فيه سماحة نفسه وعظيم تواضعه وكريم خلقه وانتصارته للحق وأنتقاضاته نحو ردع الباطل بكل ما يملك.

وشخصية كهذه من الواجب الاعتراف بفضلها والإشادة بالتوفيق الذي صادفته في كل المحاولات الهادفة والمجالات الهادية. وإذا كان في الناس من لا يذكر ذلك في حياته فان علينا وقد التحق بربه رحمه الله أن نأخذ بالتوجيه الكريم (أذكروا محاسن موتاكم) فلا نترك مزية من مزاياه ألا وأشغناها فذلك حق واجب في عنق كل من عرف سماحته وعاصره أو أفاد من علمه أو لمس كريم خلقه ونبل مقاصده. يرحم الله الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد وأكرمه بمنازل الصالحين وجبر مصاب الأمة جمعاء بفقده (إنا لله وإنا إليه راجعون).

ويقول فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رئيسي هيئة التمييز بالمنطقة الغربية سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالمسجد الحرام.

(شخصية سماحة الشيخ عبد الله تتميز بعده صفات يصعب إجمالها... فإذا أردنا أن نعدد صفاته ومميزاته لاحتجنا لعدة مؤلفات.. فهو كبير في أشياء كثيرة... كبير في شخصيته وفي علمه الغزير الذي يندر أن يتصف به رجال العلم والعلماء في عهده.. يرحمه الله.

فهو يتميز بالذكاء والدهاء والعقل الحكيم وقوة الرزانة ولقد استفدت من هذا الرجل الكثير والكثير من علمه الجم فقد اشتركت وإياه في مناقشة عدة رسائل في جامعة أم القرى كما اشتركت معه في العديد من

الندوات التي أقامتها رابطة العالم الإسلامي، وكذلك في إعداد الدراسات والدوريات التي تعقد بالمجمع الفقهي.

وإجمالاً.. يمكن القول أننا استفدنا جداً من سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد الذي يعد أحد تلاميذ محمد إبراهيم وكبار مشايخ الرياض وبالإضافة إلى استفادتي من علمه الغزير الجم فقد استفدت منه في مجال الدعوة الإسلامية حيث كان سماحته من المشائخ الذين قاموا بدور فعال في مجال نشر الدعوة الإسلامية، وكان تأثيره علي في هذا المجال تأثيراً فعلياً وواضحاً فقد استفدت من نشاطه الكبير في هذا المجال ومن دروسه القيمة التي كان يلقيها ويستفيد منها الكثيرون في المسجد الحرام، وكثيرون من الذين استفادوا من علمه الآن في مواقع ومناصب متميزة.

ويردف الشيخ البسام: كثيرون كانوا يعجبون به وبمواقفه الكثيرة.

فقد كان الملك " عبد العزيز " – طيب الله ثراه – شديد الإعجاب به، وكان يقدره لغزارة علمه وحكمته ودهائه في الأمور التي يتولاه، فقد قال عنه الملك عبد العزيز:

(لو أردت أن أولي بلداً فيها أمير وقاضي في شخصية رجل واحد لكان الشيخ عبد الله بن حميد). هذه الحكمة التي أشار أليها الملك عبد العزيز تؤكد قوة سياسة الشيخ ابن حميد الحكيمة وعلمه.

ويقول توفيق بن عبد العزيز السديري:

لقد فقدنا شيخاً جليلاً وعالماً فذاً ومفكراً حصيف الرأي ذلكم هو سماحة والدنا الشيخ عبد الله بن حميد – رحمه الله – الذي فقده الكبير والصغير، والعالم والمتعلم ليس في هذه البلد فحسب وفي بلاد المسلمين كافة، لقد دوي نبأ وفاته في أذني كالصاعقة.. حقاً إن الفراق أليم والوداع صعب وشاق ومرت في ذاكرتي مواقفه وكلماته ونبرات صوته التي توحي بالهيبة والوقار والقوة والصبر وأنا أردد " إنا لله وإنا إليه راجعون " متذكرا قول الشاعر:

أهكذا البدر تخفى نوره ... ويفقد العلم لا عين ولا أثر
خبت مصابيح كنا ... وطوحت للمغيب الأنجم

إننا إذ تفقد سماحته خاصة ونحن في حاجة إلى العلماء العاملين للظروف التي تعيشها الأمة نفقد رجلاً أعطى وأعطى الكثير وكافح وجاهد في سبيل الله عالماً ومتعلماً، نفقد الجهود التي كان يبذلها في كل موقع وعلى كل ثغر كان يعمل فيه، فلقد اتصف بصفات قلما وجدت في غيره كالذكاء، وقوة في جانب الحق لا تأخذه في الله لومة لائم التي يندر أن توجد في غيره، كما يمتاز بسعة العلم والإطلاع، والتحقيق في المسائل بحيث لا يشق له غبار في التحقيق في مباحث الفقه وأصوله واللغة العربية وغير ذلك من فروع العلم، كما أنه رحمه الله له إطلاع واسع وكبير في أمور العصر وأفكاره. فهو كثير الاطلاع على الجديد من العلوم والمعارف والمؤلفات حتى لأعداء الإسلام، متابعاً لما يجري من أحداث أولاً بأول،

وكان باذلاً نفسه لتعليم العلم حتى آخر حياته وكانت حياته سيرة كاملة وتجربة جديرة بالتأمل.

ويقول حمد بن محمد بن فريال بعد مقدمة المصيبة في فقد العلماء:

ولقد كان فقيدنا العلامة أستاذ الجيل سماحة الشيخ عبد الله بن حميد أحد أولئك الأفذاء، فلقد كان رحمه الله علماً بارزاً وطوداً شامخاً وركنا ثابتاً، أكرمه الله بالفقه في دينه ونفع الله الأمة بعلمه وكان رحمه الله من ذوي الهمم العالية وقوة التحمل والصبر والجلد، وكان قدوة في سلوكه عميق التفكير دقيق الملاحظة موجهاً من الطراز الأول، وناصحاً أميناً ومسئولاً مخلصاً، يتمتع بصفاء ذهن وحس مرهف وذاكرة نادرة.

يقول عبد الرحمن بن فايز بعد ذكر أعماله سماحة الشيخ وتسنمه لأعلى مركزا قضائي في البلاد:

وكان سماحته إضافة إلى ما منحه الله من علم غزير مثالاً في الخلق والورع والتقوى فكان دمث الخلق بشوش الوجه منبسط الأسارير يعامل الناس كل على حسب مستواه الفكري والخلقي فاستحق بذلك ثناء وتقدير كل من عرفه ولقد ساهم سماحته بدور ضليع في التوجيه والإرشاد، وذلك من خلال حلقات الذكر والدروس التي يلقيها في المسجد الحرام فكانت حلقاته ملتقى لكثير من طلاب العلم وقاصدي هذا البيت الآمن حيث تخرج على يديه عدد كبير من طلبة العلم الذين ساهموا بدور كبير في إنارة الطريق وتوجيه الناس إلى ما يصلحهم في دينهم ودنياهم. ولم

يقتصر سماحته في بذل العلم على ما يلقيه من دروس وما يجيب به من أسئلة داخل المسجد الحرام، بل كان يبذل العلم لكل من يطلبه في كل مكان وزمان، حيث يعتبر سماحته العلم حقاً مشروعاً للجميع، فكان منزله ومكتبه مفتوحاً لكل طالب علم وصاحب حاجة فيقصده الناس من كل مكان فيقضي لهم حاجاتهم ويحل مشاكلهم (٣).

وكتب عبد المحسن التويجري:

قبل مدة يسيرة في عمر الزمن اختار الله تعالى إلى جواره سماحة الشيخ الجليل عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء بالمملكة فكان لموته رنة حزن وأسى بالغين وظل الناس بعده وحتى الآن حيارى، وبات مكانه شاغراً، وأظن أنه لم يُملأ بسهولة مهما كان عدد المؤهلين والخريجين على مختلف درجاتهم العلمية، وهكذا يكون الرجال، وواحد كالألف، كان رحمه الله متميزاً على أقرانه، وكان الآخرون تلاميذ في مدرسته يستفيدون من مجالسه وبحوثه، وخاصة في قضايا الفقه الإسلامي لأنه كان من ذلك في الذروة، وكم من قضية عجزت عنها المحاكم الشرعية في طول البلاد وعرضها فإذا أحيلت إليه حكم فيها وقضى بالقول الفصل فرحمه الله وغفر له والسؤال الذي يتردد في الأذهان هو أين العوض؟ ومن هو البديل؟ (٤)

---

(٣) جريدة الجزيرة، العدد ٣٦٠٥ في ١٤٠٢/١١/٢٢هـ.

(٤) مجلة اليمامة، العدد ٨٢٥ في ١٤٠٥/١/٢٩هـ.

وكتب أحمد القحطاني مدير إدارة التوعية الإسلامية بوزارة الحج والأوقاف سابقاً:

(لقد فجعت المملكة العربية السعودية حكومة وشعباً والأمة الإسلامية عامة بفقد ركن من أركانها، وداعياً إلى الله مخلصاً وعالماً كبيراً من علمائها ذا إيمان بالله صادق، وفهم صحيح للإسلام، وقول للحق وعمل به واستقامة عليه وجهاد من أجله.. كل ذلك في سبيل الدعوة إلى الله – سماحة الوالد الشيخ عبد الله بن حميد، رئيس مجلس القضاء الأعلى.. فقد اختاره الله إلى جواره ولئن كان الموت فجيعة، وهو حق – فإن موت العلماء ليس كغيرهم.. إلى أن قال: يا أبا محمد.. لقد أديت واجبك في هذه الدنيا على أكمل وجه ما يكون ونصحت بالخير وقد أكرمك الله في هذه الدنيا بأن أجلسك على أشرف مجلس حكمت بين الناس بما أنزل ربك وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتربى على يديك من أبناء هذا البلد الكريم أجيال تشهد لك بالعلم والمعرفة والفضل، وصدعت بالحق، وعلمت الناس في أشرف بقعة على وجه الأرض، وساحات الحرم المكي شهدت لك بإيضاح الطريق، وتوضيح هذا كله كتاب الله وسنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم.

لم تبخل بعلم ولا كلمة ولا نصح من أجل إعلاء كلمة الله، فاهنأ في مستقرك. بما قدمت من صالح الأعمال والأفعال فمؤلفاتكم وعلمكم وحكمتكم في في الدعوة إلى الله ستظل خير مرشد للداعين إلى طريق

الله، لأنك بما وهبك الله قد جمعت فيها خبرة السنين الطوال وضمنتها تجارب العقول الناضجة [٥].

وكتب عبد الله محمد حريري:

(بالأمس الأول ودعنا أحد كبار علماء الأمة الإسلامية صاحب السماحة الشيخ عبد الله بن حميد..

وفضيلة الشيخ ابن حميد علم بارز من أعلام الدعوة الإسلامية فقد أخذ من العلم بحظ وافر –فمؤلفاته وتوليه المناصب القضائية.. وفتاواه، وحلقات علمه كلها خير شاهد على فضله ومكانته الجليلة.

ولقد عرفت العالم الشيخ الفقيد.. كما عرفه غيري من الكثيرين من طلاب العلم: في تواضعه، وحبه للخير والفقراء والمساكين وحثه لطلابه على الاجتهاد وطلب العلم. عرفته كما عرفه غيري بمجلسه العلمي وحلاوة أسلوبه في التحدث، والسؤال الدائم عن الجميع وأحوالهم. [٦]

وكتب محمد السليمان:

كان الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله وأسكنه فسيح جناته منذ أن عينه الملك عبد العزيز قاضياً في الرياض عام ١٣٧٥هـ وهو يسعى جاهداً إلى إيضاح الطريق الصحيح وتوضيح أمور المسلمين الدينية والدنيوية وما خفي عليهم منها معتمداً في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه

---

(٥) الندوة، السبت، ١٤٠٢/١١/٢٣هـ.

(٦) الندوة، السبت، ١٤٠٢/١١/٢٣هـ.

وسلم والخلفاء الراشدين من بعده. ولم يبخل رحمه الله فيما أعطاه الله من العلم والحكمة في نصح المسلمين، والإجابة على ما خفي من أمور الدين في الأقوال والأفعال وذلك على مدى الخمس والأربعين سنة حتى توفاه الله. من خلال حلقات الذكر والدروس التي كان يلقيها رحمه الله في المسجد الحرام وفي كل مكان يجد فيه من يسمع ومن يستفيد، ولقد افتقده المسلمون في ليالي رمضان وأيامه في هذا العام حيث يجلس للإجابة على أي استفسار من أي رجل أو امرأة أشكل عليها شيء من أمر دينها وحال المرض بينه وبين ذلك في هذا العام وتضرع المسلمون إلى الله في شهر رمضان أن يشفيه مما أصابه ولكن الله نفذ ما يريد واختاره إلى جواره رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. (٧)

ومما كتب بدر أحمد كريم:

(كان في قضائه يتحرى العدل، وفي ساحات التدريس أستاذاً ومعلماً حصيفاً، وفي مؤلفاته وفتاواه حجة يركن إليها، وميسراً لا معسراً، تجلت عظمة علم هذا الرجل العالم العلامة، في حفظه للقرآن، وهو صغير في السن، وفي تلقيه مبادئ التعليم والعلم على أيدي مشايخ أجلاء من علماء الرياض البارزين، وفي ملازمته لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس قضائها في حينه ومن هنا كان تمكن الرجل من علمه، وإسهاماته المتواصلة في مجالات الدعوة

(٧) جريدة الرياض، العدد ٥١٢٢، السنة الثامنة عشرة في ١٤٠٢/١١/٢٣هـ.

الإسلامية والقضاء والفقه والتدريس والإشراف الديني على المسجد الحرام.[(٨)]

ومما كتب الأستاذ/ حمد عبد الله القاضي:

(ما يزيد على نصف قرن أعطاها فقيدنا الجليل الشيخ ابن حميد من أجل الإرشاد وبيان أحكام الدين – وكان صوته المؤثر – من خلال المذياع – يتحدث إلينا – ويفتينا في أمر ديننا – وأنني لأدعو – بالمناسبة – إلى طبع فتاوى هذا العالم الجليل – فهي كنز يجمع رجاحة الرأي، وبساطة العرض ودقة الإفتاء..!

يرحم الله (ابن حميد) بقدر ما أعطى وجاهد وأفتى – ومعذرة إليك في قبرك – إذا كنا نمنح لأصحاب الأقدام أكثر مما نمنح لأرباب الأقلام).[(٩)]

---

(٨) جريدة عكاظ، يوم السبت ١٤٠٢/١١/٢٣هـ.

(٩) جريدة الجزيرة، يوم الإثنين، ١٤٠٢/١١/٢٥هـ.

ثانياً: من الشعر:

لقد قيل في الشيخ – رحمك الله – مراثي كثيرة، وهذا إيراد لبعضها:

يقول الشيخ / محمد العبد الله السبيل إمام الحرم المكي:

على مثل هذا الخطب تهمي وتذري دماء مقلة ومحاجر
ألا أيها الناعي لنا علم الهدى أصدقنا تقول أم مصاباً تحاذر
لئن كان هذا النعي حقاً فإنما نعيت الذي يبكيه باد وحاضر
نعيت الذي يبكيه كهل ويافع ويبكيه شبان ويبكي الأكابر
نعيت الذي يبكيه محراب ويبكيه تذكير وتبكي المنابر
وتبكيه دور للعلوم بغيرها بفهم دقيق يجتبيه المغاير
ويبكيه حل المشكلات إذا وأعيي رجالاً وردها والمصادر
ويبكيه فصل الحق بالعلم ويبكيه طلاب ويبكيه حائر
بكته ذوو الحاجات إذ كان يدافع عن ملهوفهم ويناصر
هو الشيخ عبد الله نجل محمد به أمة الإسلام حقاً تفاخر
هو الجبل الراسي على كل حالة إذا زعزعت أحلام قوم أعاصر
منار على درب التقى فوق لاحب به يهتدي الساري وينأى المخاطر
قوي بفضل الحق قاض موفق به يرتضي خصم وتهدي ضمائر
هو الحبر كم طابت نفوس قلوب غمر الجلاس منه جواهر
ترى الناس هذا وارد متعطش وذا ناهل من بحر علم وصادر
تفرد في علم وفقه وفطنة تقاصر عنها باحث ومذاكر
فكم كشفت أبحاثه من ومن حكم تجني وهن نوادر
نوادر علم من فنون تنوعت ينمي بها عقل وتزكو سرائر
قد استخرجت من كنز عقل ونقل صحيح أسندته عباقر

ومــــا العلـــم إلا مـــا رواه مؤيـــد ونقـــل صـــحيح أســـندته عبـــاقر
ومــــا العلـــم إلا مـــا رواه أئمـــة مــــشافهة أو دونتـــــه دفــــاتر
ســـرى ذكــــره في الأرض شـــرقاً وقـــد أكبرتـــه جلـــة وأكـــابر
وعــم الأســى عربــاً وعجمــاً لموتــه فيــا حــسرتا إذا ألحــدوه وغــادروا
يجاهـــد في ذات الإلـــه بحكمـــة وبالقـــسط قـــوَّام وللحـــق ناصـــر
وفي الله لا تأخــــذه لومـــة لائـــم يناصـــح ســـراً تـــارة ويجـــاهر
فكــم ردعــت أقوالــه مــن معانــد وأذعــن مــن بعــد العنــاد يــساير
لـــه في قلـــوب العـــالمين محبـــة محبـــة صـــدق قربـــة ومفـــاخر
محبــة ديــن يرتجيهــا أولــو التقــى ويحـــرم منهـــا جاهـــل أو مكـــابر
فيــا أســفا قــد صــوَّح النبــت بعــده فأضــحى هــشيماً وهـــو بـــالأمس:
وإن انتـــزاع العلـــم في مـــوت أهلـــه كمـــا جـــاء نـــص في الـــصحيحين
فيــا لــك مــن خطــب جليــل وحــادث بـــه فقـــدت أنهـــار علـــم زواخـــر
كمـــا فقـــدت في حنـــدس الليـــل وقـد سـقطت في الأفـق وهـي زواهـر
فيــا خيبــة الــساري إذا غــاب نجمــه ويــا لوعــة الــصادي إذا جــف مــاطر
فكــم أســف يبكــي بقلــب مــبرَّح وكــم واجــم أضــناه حــزن مخــامر
لقــد مــزق الأحــشاء هــمٌّ بموتــه تكـــاد لـــه صـــمم الجبـــال تنـــاثر
فللــه كــم حاولــت صــبري فخانــت أقلـــل حزنـــي مـــرة فيكـــاثر
إلــه الــورى نــدعوك ســراً وجهــرةً تخفــف عنــا مــا حوتــه الــضمائر
مــن الــروع والأحــزان يــوم فراقــه فيـــا ســـيدي رحمـــاك إنـــك قـــادر
ســيبقى لــه في قلــب كــل موحــد ســـريرة حـــب يـــوم تبلـــى الـــسرائر
سـقى الله قـبراً ضـمه وابـل الرضـى يمـــنُّ بـــه رب رحـــيم وغـــافر
وبـــوأه دار الـــسلام مـــع الألـــي همـو نـصروا حـزب الإلـه وهـاجروا

فآل حميد إنما الصبر عزمة فصبراً ينال الأجر من هو صابر
فإن مصاب المرء فقد ثوابه وأما الرزايا فالمهيمن جابر
وذي حالة الدنيا سرور وغبطة وأيام بؤس فرقة وفواقر
وقد خلق الإنسان في كبد فمن يروم صفاء العيش لا شك قاصر
وليس يرد الموت حصن ممنع ولا شاهق أو قوة وعساكر
كفى زاخراً للمرء أيامه التي يمر عليها بالمواعظ زاجر
مضى ابن حميد بالمفاخر والتقى فلله عمر بالفضائل زاخر
(جليل) أتت في النظم أعوام عمره وفي عام (غبت) غيبته المقابر

مرثية الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله

د. ناصر بن سعد الرشيد

ما عليكن يا ذوات الجحال أن ترقن الدموع في إحلال
أوفكفكن من دموع العذارى ثم دعن البكاء للأبطال
فبكاء الرجال في محككم الخطب حرى به من الرجال
رحل الشيخ بعد طول جهاد أتعب الخيل والعدى في القتال
كم جهول وبدعة تتردى من قنا الشيخ أن دعي للنزال
فقده لا أرى به فقد فرد أنه فقد أمة في النضال
أن فقد الشيخ منا لرزء ليس فقد الرعاع والأذيال
كان في الحفظ والذكاء فريداً وهو في الفقه مضرب الأمثال
كان يفتي بما يراه إتباعاً لفعال الرسول في كل حال
وإذا ما دعاة سوء أتونا بنعيق الضلال والإضلال
قام يدعو الله في السر والجهر قوياً يلومهم لا يبال
لا يداري بعلمه أو يماري نصرة الحق قصده لا التعالي

أتت فينا البصير في ظلمة الشك ... ونعما الخبير في الأهوال
نحن عمي كم قرتنا بأمان ... لصوى النبع بارداً كالزلزال
وإذا ما الهجير ألهب في النفس ... سموماً أخذتنا للظلال
سوف أرثيك أيها الشيخ جهدي ... ورثاء الشيوخ للأجيال
سوف أرثي بك العلوم جميعاً ... أنت منها الذي وأنت منها
موتة الشيخ ثغرة في حمانا ... وحمى الدين والدنى والمعالي
نحن في عالم يموج سعيراً ... وظلام الشكوك مثل الجبال
فهنيئاً بشدك الرحل عنا ... سوف نعيا إذاً بشد الرحال

أحمد الغنام من الكويت:

عزاءً بني الإسلام قد عظم الأمر ... وليس لنا إلا التجلد والصبر
فشيخ المعالي غاب عنا مسافراً ... إلى ربه قد ضمه اللحد والقبر
فيا قبر رفقاً بالذي فيك راقد ... هنيئاً لقد خصصت بالفضل يا
لقد أظلمت مذ غاب منا مرابع ... كما ذهبت مذ غاب أيامه
لقد كان بدراً أضاء في الكون ... ألا إنه الشيخ المبجَّلُ والحبْرُ
قلوب من الخطب العظيم ... وفل قواها الرزء واستوحش
لقد ثُلمِت في الدين يا صح ثلمة ... بموت حميد السعي وانقصم
فسمعته في الناس فهي فريدة ... وسيرته بيضاء ما شابها غدر
فتاواه في البيت المحرم حجةٌ ... بفتواه كلٌ يهتدي البدو
وإن هو أعمى العين فالقلب ... يساعده في علمه العقل
فها هي تنعاه الجزيرة كلها ... لقد مسَّها من فقده الحزن
فها نجد من منآهُ عنها حزينة ... مفتتة الأحشاء قد هالها الأمر
لقد فزت عبد الله بالبر والتقى ... فأنت الذي في الناس أضحى له

فصوتك يدوي في البسيطة ... به قام معروف وزال به نُكر
بمذودك الداعي لكل فضيلةً ... تصول على أهل الغواية يا بدرُ
فيا شيخُ عبد الله هنئت بالذي ... فعلت من الخيرات ولينهك
توليت أحكام القضاء بنزاهة ... وأهلية ما أنت عن سرها غِرُّ
سلكت لعمر الحق في الحكمِ ... صحيحاً فلم يلحقك عار ولا
فذكراك في كل القلوب مقيمةً ... وذكراك مع طول المدى كلها
فإن غبت عنا أنت في القلب ... مآثرك الجلي هي الطيب
قدمت إلى رب جزيل ثوابه ... ونعماه طول الدهر ليس لها
يجازيك بالإحسان جوداً ومنة ... ويوم قيام الناس فهو لنا ذخر
عليك سلام الله يا ابن محمد ... ورحمته تعداد ما أسفر الفجر
سحائب من عفو الكريم هواطل ... تسح على مثواك ما سحت

تحية وتكريم

وأبدأ حمداً لا يعدُّ له حصر ... وشكراً لمولانا له البعث والنشر
على نعم شتى حباها لنا الذي ... له الملك والإبداع والنهي والأمر
وأزكى صلاة مع سلام على ... له معجزات في الورى ما لها
وآل وأصحاب ومن سار مثلهم ... على سنة الهادي الذي شق له
وبعد فأهلاً ثم مرحباً ومرحباً ... بداعية الإسلام من ذكره
إمام حباه الله كل فضيلة ... تدفق منه العلم جم هو البحر
هو "ابن حميد" جامع الفضل ... ومن هو للإسلام ركن مؤزر
فما السعد إلا يوم عاد إمامنا ... معافاً فعاد الوعظ والدرس
وكم للإمام العبقري مواقف ... بها هزمت جند الجهالة
وكم مد لهمات المشاكل حلها ... بعلم ورأي زان سبكهما

بنـــور ذكـــاء ثـــم فطنـــة حـــاذق ... بـه خـصه الـرحمن فـانبلج الفجـر
وقـــول بليـــغ مـــدعم بأدلـــة ... مـــن الآي والقـــول الـــصحيح لـــه
فيـا علـم التحقيـق والعلـم والتقـى ... ويـــا مـــن بكـــم مـــازال يفتخـــر
هنيئـــاً لطـــلاب العلـــوم وبعـــودكم ... معافـــاً فللـــه المحامـــد والـــشكر
أيـا بـن حميـد فـالقريض مقـصر ... وحقــك لا يجزيــه نظــم ولا نثــر
ولكنــه الإخــلاص وهــو ســجيتي ... وطبــع المحــبين التحــدث والجهــر
ودأب المحـــبين الـــتغني بحـــبهم ... وبعــضهم يهــوى التجمــل والــصبر
ولكـــن إذا عـــاد الحبيـــب رأيتـــه ... يــذيع وكــل في هــواه لــه عــذر
فحبـى الـذي لم يخـشى لومـة لائـم ... وجرأتـــه في الحـــق لميثـــه غِمْـــرُ
فكـم صـوته في الحـق يعلـو مـدوياً ... بــه يبتغــي الفــوز مــن ربــه ذخــر
فـــأهلاً ثـــم ســـهلاً ومرحبـــاً ... وشـــكراً لمولانـــا لـــه البعـــث

هـذه مرثيـة فقيـد العلـم والإسـلام شُـرَيح زمانـه الـشيخ عبـد الله بـن محمـد آل حميـد. الـذي وافـاه أجلـه بالطـائف يـوم الأربعـاء في عـشرين مـن شـهر ذي القعـدة سـنة اثنـتين وأربعمائـة وألـف هجريـة وصُـلِّيَ عليـه في الحـرم الـشريف، ودُفـن بمقبرة العدل بمكة المكرمة.

والـشيخ غـني عـن التعريـف، تلقـى علومـه في الريـاض علـى آل الـشيخ وعلـى غيرهـم ففـاق شـيوخه، وتـولى القـضاء في بريـدة، ثـم تحـول إلى الحـرم الـشريف حيـث كـان مـشرفاً عامـاً عليـه ومفتـشاً فيـه ثـم انتقـل إلى الريـاض حيـث صـار رئيساً للقضاء الأعلى وهيئة كبار العلماء.

كان رحمه الله مهيباً وافر العلم والمعرفة قوي الحافظة، حاد الذكاء جمع بين شريح في قضائه وعدله، وإياس في ذكائه وفطنته، ومحمد بن سيرين في علمه وحزمه. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجميع أموات المسلمين إنه سميع مجيب.

بريدة: حمد الصالح الفهاد.

أمن الصدود وطوله تتأرق ... وإلى الوصال تظل عينك ترمق
يا طائراً شغل الفؤاد بشدوه ... ما بال صوتك في الفضاء يلقلق
أيقظت مني ساكناً ومدلهاً ... قد كان من طول الأسى يتحرق
كم كنت من قبل الصبابة ... ما شاب مني عارض أو مفرق
إن كنت تصدح في زمانك لاهياً ... فاعلم بأن الموت فيك محدق
واعلم بأن العمر لذة ساعة ... فأقصر عليك اللهو لا تتشدق
واقطع بصدك من أردت وصاله ... لو حر قلبك للوصال تشوق
واعلم وغيرك لو علمت معلم ... أن المنية بالخواتم ترفق
فإذا المنية أخطأتك نبالها ... تلفي حبائلها لبابك تطرق
حكم الإله على الخلائق بالفنا ... فهو السبيل فخاسر وموفق
وقضى عليهم بالمنزل أنه ... كل جزاه بأخدعيه معلق
كل ابن أنثى لو تأخر عمره ... يوماً ستوثقه المنون وتخنق
يا طائراً لو في عطارد ساكن ... فله المنية نابها سيمزق
إن كنت من ريب المنون محاذراً ... فاعلم بأن مكانك رجلك مزلق
لو أن عيناً بالسعادة نعمت ... فعلى القذى أجفانها سيبحق
لو أن جفناً ما تعور طرفه ... فله الزمان بإصبعيه سيبخق
لو أن نفساً ما تكدر صفوها ... فغداً ستمتاح الركاك وتطفق

لـــو أن بيتــاً مـــا تهـــدم ركنـــه … فلـــه الحـــوادث بالنبـــال سترشـــق
لـــو لم قـــوم بـــالتجمع شملـــهم … أضـحى الغـراب علـى التفـرق ينعـق
مثـل الـذي دهـم الجزيـرة فجـأة … فأصـــابها بعـــد المـــسير تعـــوق
فجـــع الجزيـــرة صـــوت نـــاع في … سمـــل الجفـــون بجمـــرة تتحـــرق
والأرض أصـــبح لونهـــا مـــتغيراً … منهـــا جوانبهـــا بـــدت تتـــشقق
تبكـي الـديار علـى الـذين ترحلـوا … فكأنمـا هـي بالـصواعق تـصعق
تبكـي لـشيخ قـد تعجلـه الـردى … وبهـــا عليـــه تلـــهف وتـــشوق
تبكـي ففيهـا بالحجـاز مكانـه … في عـــدل مكـــة قـــبره يتـــألق
تبكـي علـى ابـن حميـدها وفقيهها … شـيخ الحنابلـة الـذي لا يـسبق
تبكـــي عليـــه بلوعـــة وتفجـــع … وبعـــبرة فـــوق الحـــدود تـــدفق
يـــا طـــائراً أم الحجـــاز محلقـــاً … عرنـي جناحـك علـني بـك الحـق
عرنـي جناحـك علـني أعلـو بـه … أو مـــد لـــي حـــبلاً بـــه أتـــسلق
مـــا فـــاتتني حريـــة ولا طلاقـــة … إلا بأجنحـــــة وأنـــــك مطلـــــق
فـإذا الخـوافي والقـوادم أصـبحت … مـني مكـسرة فكيـف أحلـق
يـا طـائراً قـصد الحجـاز لحجـه … إنـي أتـوق إلى الحجـاز وأعـشق
سـلم علـى الحـرم الـشريف وبيتـه … واسـأل نجـوم الليـل أيـن سـتخفق
سـل أهـل مكـة والجزيـرة كلـها … مـــن عـــالم بالحنبليـــة يفلـــق
سـلهم عـن ابـن حميـدها وفقـيههم … تلـق القلـوب لـدى الحنـاجر تخنـق
وامـرر علـى آل الحميـد وقـل لهـم … أيـن الغـضنفر والفقيـه الأحـذق
أيـــن الهمـــام دفنتمـــوه بـــربكم … أحـواه لحـد وسـط مكـة مـشرق
يـا ليـل بـدرك كيـف غـاب مبكـراً … مـا بالـه بعـد العـشية يـدنق
يـا مـن رأى بالبيـت سـيفاً مغمـداً … صـلى عليـه مقـصر ومحلـق

يـا مـن رأى يمـشي بمكـة موكـب ... تبـــدو عليـــه كآبـــة وتمـــزق
يـا مـن رأى بالعـدل يـدفن كوكـب ... حينـــاً يـــضيء تـــارة هـــو يـــبرق
عقمـــت ليـــال زمانـــه مـــن مثلـــه ... إنجـاب مـن هـو بالحقيقـة ينطـق
فـــإذا النـــساء تعطلـــت أرحامهـــا ... عـــن مثلـــه فمجـــال ذلـــك ضـــيق
وإذا الرجـــال تعـــذرت أصـــلابها ... عـــن مثلـــه فـــلان ذاك محقـــق
وإذا الغـــصون تنوعـــت أشـــجارها ... ظـــني بـــأن غـــصونها لا تـــورق
مـــا مثـــل عبـــد الله أنـــت بواجـــد ... يرفـــو الفتـــوق وللعدالـــة يعـــشق
لا تطلـــــبن كمثلـــــه لقـــــضية ... مـن بعـده مـا أفتـاك فيهـا الـسودق
لا تطلـــبن كمثلـــه مـــن بعـــده ... إنـــي أراك تجـــاري مـــن لا يلحـــق
لا تطلـبن كعلمـه يجلـو الـصدى ... يومـــاً ويمـــسح دمعـــة تترقـــق
فلـــشد مـــا جـــزع الفـــؤاد لفقـــده ... فبـدت مـن الحـزن الأكـف تـصفق
يـــا قاضـــياً أحيـــا العقيـــدة عدلـــه ... كيـف الحقيقـة إن تغلـب منطـق
مـــن للـــضعيف إذا تغمـــط حقـــه ... وبـــدت حبائـــل عزمـــه تتطلـــق
والحـــق أصـــبح بـــاطلاً ومطـــارداً ... وعـن القـوى كـذاك يوضـع مرفـق
إلا التـــــأوه والتـــــضجر ســـــلوة ... وبقـــــاءهم للـــــسعادة يـــــدحق
أنـــت المهنـــد إن تغطـــرس جاهـــل ... فـصل الخطـاب وللمهنـد رونـق
أنـت الفقيـه وفي القـضاء شـريحنا ... في الخـافقين بريـق علمـك مـشرق
أمـــا ابـــن ســـيرين فأنـــت مكانـــه ... منـــك العلـــوم أصـــولها تتـــدفق
حقـــاً لإنـــك في الـــذكاء إياســـنا ... فطـن الفـؤاد وفـصل عـدلك أصـدق
لـو كـان في الأفـلاك مثلـك فرقـد ... ظلـــت نجـــوم سمائنـــا تتـــألق
لـو كـان في المليـون مثلـك واحـد ... كنـــا جميعـــاً في الفـــضاء نحلـــق
الله أكـــبر يـــا فقيـــه زماننـــا ... أمـــر الإلـــه إذا قـــضي يتحقـــق

فلئن رحلت فإن ذكرك خالد … وسط القلوب مغلف وملصق
لم تحظ من إعلامنا في وقفة … غير الإشارة مات أمس الفيلق
كتبوا ثلاثة أسطر لا غيرها … ليؤكدوا أن العزاء موثق
كتبوا ثلاثة أسطر بتأفف … خسئوا وما كتبوا فلم يتوفقوا
بخلت عليك بوقفة أقلامهم … لم يذكروا عاماً ولم يتطرقوا
شحوا عليك بصفحة من جهلهم … تباً لكل بهيمة لا تنطق
ما كان أجهل ما نرى إعلامنا … ما فيهم إلا السخيف الأحمق
أقوالهم تربوا على أفعالهم … لؤم قبيح للمروءة يسحق
إن مات منهم مطرب وممثل … ألفيتهم مثل البغاث يزعق
شغلوا الإذاعة بالعويل تحسراً … ملأوا الجرائد بالهراء وأغدقوا
ضربوا له عند الوداع تحية … مثل الغراب إذا يصيح وينعق
وإذا تهدم للعقيدة جانب … لم يعنهم شيئاً ولم يتأرقوا
وإذا أصيب المسلمون بعالم … فكأنهم لم يسمعوا أو يخلقوا
ماذا تظن بهؤلاء ومثلهم … غير الجحود وخلف من لا يصدق
هون عليك فتلك عادة مكرهم … في خيط أم العنكبوت تغلقوا
فاضرب بطرفك لا أبالك عنهم … وادع الإله لهم كذلك يمحق
واذهب إلى آل الحميد معزياً … لله أفئدة لهم تتمزق
آل الحميد لكم عزائي مقدماً … فيمن بكاه مغرب ومشرق
ليس العزاء لوحدكم من دوننا … فالمسلمون به أحق وأسبق
كتب العزاء على النفوس فهل … من سلوة إلا العزاء الضيق
يا رب أحسن في الفقيه عزاءنا … وامدد له حبلاً به يتوثق
أنزل عليه من السحاب مثلجاً … وانظر إليه برحمة لا يغرق

ثـم الـصلاة علـى الرسـول محمـدٍ ذاك الـــذي في هديــــه تتعلـــق
مـــا لاح بـــرق أو تـــرنم طـــائر أو ظـــل نجـــم في الـــدجى يتـــألق

مرثيــة في سماحــة الـشيخ عبــد الله بــن محمــد بــن حميــد رئـيس المجلـس الأعلــى للقضاء رحمه الله وجبر مصاب المسلمين بموته.

علـــى الـــشيخ عبـــد الله تجـــري وحـــق لقلـــبي أن بـــدا بالتـــصدع
علـى العلـم النحريـر تبكـي قلوبنـا ومــن مثلــه في العلـم والفهـم ألمعــي
نعــت أمــة الإســلام شــرقاً ومغربــاً وعــم الأســى في كــل وان شاســع
إمامــاً لــه في القلــب قــدر وهيبــة وفي العلـــم إدراك بعيـــد التطلـــع
يحـــل عـــويص المـــشكلات أذا ولا يلتـبس في الأمـر عنـد التنازعـه
يخـوض بحـار العلـم في كـل لحظـة ويجـني ثمـار الحـق بـالحزم والـورع
نـــشأ في ريـــاض زادهـــا الله عفـــة وصـــدقاً وإخلاصـــاً بـــشتى المنـــافع
مـــشائخه مـــن نخبـــة قـــل مثلـــها شـــعارهم الإخـــلاص في كـــل
لقـد طلبـوا علـم الـشريعة والهـدى علـى أسـس التقـوى بخـير المواقـع
تلاميـــذه الأخيـــار أقطـــاب ديننـــا فنـالوا الهـدى بالـصدق لا بالتـصنع
لقـد ورثـوا التحقيـق مـن كـل جهبـذ علـى المـنهج الأسـنى ختـام الـشرائع
نتيجـــة هـــذا أصـــبح العلـــم نافعـــاً وفي ضـــده حـــض الفتـــى بـــالتميع
تـــولى القـــضاء في عفـــة وفراســـة وبـــالرأي والإنـــصاف لا بالتـــسرع
ويـدرك مقـصود الخـصوم إذا أتـوا ولا يغـترر لـو طـاب قـول المخـادع
لـــه أثـــر عـــم القـــصيم انطباعـــه فأصـبح في شـيخ الهـدى خـير مرتـع
لـــرواد علـــم ينهلـــون منـــاهلاً مــن الفقــه والتوحيــد نهــل التــضلع
فعاشـــت بـــه أم القـــصيم ســـعيدة فــأكرم بــه مــن جهبــذي ومرجــع
ومـن بعـد ذا الإشـراف في خـير بقعـة فقـــام بـــه فعـــل المهـــام المـــشجع

دعـاء إلى سـلك القـضاء موجهـاً ... لمجلسه الأعلى فـأكرم بـه سـعي

علامـة نقـص الأرض مـوت خيارنـا ... إذا مات أهل العلم فالخير قد نعي

ومـا هـذه الـدنيا بـدار إقامـة ... ولـو كنـت في قـصر رفيـع ممنـع

فمـوت الفتـى حـق مـن الله نافـذ ... وكـلٌّ إلى دار القيامـة قـد دعـي..

وضعناه تحت التراب والقلب حائر ... وأعيننـا تبكيـه مـن غـير مجـزع

ولكـن مـوت الحـبر ثلـم بـديننا ... ومـوت عـداه كالحـذاء المرقـع

نعـزي جميـع المـسلمين بفقـده ... ونرجـو لـه الغفـران مـن خـير مـن

وإن يحسن الأخـلاف فينـا بفـضله ... فيـا مالـك الأمـلاك هـذا تـضرع

فـصلى إلـه العـرش دومـاً مـسلماً ... علـى المـصطفى مـا لاح نـور

قالها المقر بالتقصير

عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيى

قصيدة في رثاء نابغة العلماء وسيد الفقهاء شيخنا العلامة عبد الله بن حميد غفر الله له.

مـصابك قـد هـز الحجـا والمعاليـا ... فهـان مـن الأحـداث مـا كـان

مـصابك للأخيـار أكـبر نكبـة ... فـلا غـرو أن قامـت عيـوني بواكيـا

ولا شـك أن الـرزء قـد جـاء صـدمة ... فـسالت دمـوع مـن مـآق شـواجيا

بُليـتَ بأوجـاع فـأثرت كتمهـا ... فمـا كنـت ملحاحـاً ومـا كنـت

ولـو كانـت الأرواح يـشفيك بـذلها ... رأيـت ألوفـاً تفتـديك غواليـاً

فكـم عـاش ميـت قـد تغـذى ... ولـيس عجيبـاً أن أكـون مفاديـاً

وذلـك بعـض مـن وفـائي لفـضلكم ... فهـل مـن سـبيل كـي أبـين وفائيـاً؟

دقـائق فقـه الـدين يرجـى بيانهـا ... فتـصدرها للـسائلين هواديـا

وكنــت مــع الأخيــار في كــل تــثير هوايــات هجاعــاً غوافيــا
قمعــت بهــا جنــد الــضلال بحجــة وصــارت أوهــام الجهالــة غازيــا
فللــسلف الأخيــار كنــت مجــدداً ومــن شــذ عـنهم كنـت عنـه مجافيـاً
وكنــت ببــذل المــال غــير مجــاهر تعيــد لقلــب البائــسين الأمانيــا
وأوقفــت في "المعــلاة" قبــل رحــيلكم بيوتــاً لطــلاب العلــوم بواقيــا
وفي ظـل بيـت الله كنـت ابـن حنبـل فتــسعف محتــاراً وتطــرب ســاليا
وقــد كــان فيــك الحفــظ طبعــاً فمــا كنــت مــضياعاً ولا كنــت
فمــا هــان خطــب و "ابــن بــاز" لديــه مــن الأســرار في العلــم غاليــاً
فيــا ليــت أظعــاني تعــذ بــسيرها لتــدرك شــيخاً للمكــارم حاويــا
فعفــوك شــيخي إن غلــوت بآهــه فمـا كنـت بواحـاً ومـا كنـت غاليـا
فيـا قاصـداً أرض الحجـاز ومنجـداً ســترجع مــسروراً وبالبــشر غاديــا
فقـد حيَّـر الخطـب الجليـل قوافيـا فعـادت ريـاض الـشعر قفـراً خواليـا
جميــل مــن الــذكرى ســتبقيه ألا ابــن حميــد لا تُثــار شــواجيا؟

مختارات من أنتاجه العلمي

نصيحة في التحذير من الربا

لاشك أن الربا حرمته الشرائع كلها، فجميع الأنبياء نهوا عنه، والقرآن العزيز تدرج في تحريم الربا وجاء ذكره في أربعة مواضيع أو خمسة.

أولاً: قال الله تعالى في سورة الروم وهي مكية: (وما ءاتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما ءاتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وهذه الآية لم تدل على التحريم، غاية ما تدل عليه هو الربا لا يربو عند الله أي لا ينمو ولا يزيد بخلاف الزكاة المراد بها وجه الله، فالله يضاعفها وينميها لأصحابها، وجاء قبل هذه الآية قوله (أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي أن الله هو الذي يوسع على الناس أرزاقهم وينميها لهم، كما يقدر على أخرين على ما تقتضيه حكمته وأرادته، وأن بسط الرزق وإنما الثروة وكثرة المال ليس هو من قبيل تعاطي الربا، وقال (فأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) أشارة إلى أن لذي القربي والمساكين وابن السبيل حقا في المال. واستدل بها الإمام أبو حنيفة على وجوب الأنفاق على المسكين وابن السبيل، وهذا كله ذم الربا وأنه لا يربو عند الله، إلا أن الآية لا تدل على التحريم. وفسرها بعضهم بان المعنى هو أن الرجل يعطي المال من باب الهدية ليدفع إليه أكثر مما أعطى، وأم الله نهى نبيه عن ذلك في قوله: (ولا تمنن تستكثر).

ثم ذكر الربا في آية أخرى ذاماً لليهود في تعاطيه، ومتوعداً لهم على ذلك بالعذاب الأليم، وليس في الآية صريح النهي لهذه الأمة قال تعالى: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاب إليماً).أي بسبب ظلم اليهود وتعديهم لمحارم الله حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم في قوله تعالى: (كل الطعام حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) والمحرم عليهم بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله هو جاء في قوله تعالى: (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما أختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون) واليهود حرم عليهم الربا ، غير أنهم غيروا وبدلوا ذكر الله مقابل الاخذين للربا وقد نهوا عنه الراسخين في العلم منهم والمؤمنين بالله في قوله تعالى: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قلبك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) فمدحهم بصفات عديدة من جملتها إخراج الزكاة قاصدين بها وجه الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الفقراء والمعوزين من ذوي الحاجات الذين عضهم ناب الدهر عكس المرابين الذين يأخذون المال من الفقراء المعوزين بدون عوض ولا منفعة منهم لهم.

ثم ذكر الرب في سورة آل عمران صريح النهي عن الربا وتحريمه على المسلمين قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون. واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله

والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ينهى الله عباده المؤمنين نهياً صريحاً عن أكل الربا ويأمرهم بالتقوى في تركه وامتثال أمره في قوله: (اتقوا الله لعلكم تفلحون) أي اتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه الذي من جملته أكل الربا لعلكم تفلحون؛ أي متى اتصفتم بذلك من ترك المنهيات التي منها الربا الأتمار بأوامره فيه الفلاح والفوز والظفر وسعادة الدنيا والآخرة، ثم لم يقتصر على هذا الحد في نهي المؤمنين عن الربا بل خوفهم عاقبة أكل الربا وأكد عليهم التقوى مرة أخرى في قوله تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) قال الإمام أبو حنيفة هذه الآية أعظم أية خوف الله بها المؤمنين وحذرهم بها من نار أعدت للكافرين وقوله (واطيعوا الله). هذا أمر ثالث بعدما أمر بالتقوى مرتين أمر بطاعته في ترك الربا والابتعاد عنه وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث نهى عن الربا الفضل الذي هو وسيلة وذريعة إل الربا النسيئة. ومن ثم قال بعض العلماء: إن ربا الفضل نهى عنه في القرآن كما نهى عن ربا النسيئة لقوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) ما يدل على ترك الربا والابتعاد عنه مع ملازمة تقوى الله وطاعته وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لحصول الرحمة وهي أعم من المغفرة لأن الرحمة تعم الماضي والمستقبل والمغفرة تكون غفرانا للذنوب الماضية دون ما يقع في المستقبل لهذا جاء في الآية قوله: (لعلكم ترحمون) وفي قوله: (وسارعوا إلى

مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) ما يدل على أن المتصفين بالصفات السابقة هم أهل الجنة والمغفرة. وقوله: (أعدت للمتقين) أي الممتثلين لأوامره، المجتنبين لما نهى عنه من الربا وغيره. ثم ذكر تعالى المقابلين للمرابين الآكلين لأموال الناس بالباطل. المحسنين الذين ينفقون في السراء والضراء، متقربين إلى الله بما ينفقونه من فضول أموالهم على المعوزين المحتاجين في السراء والضراء خلاف المرابين الذين لا يدفعون المال على مستحقه إلا بعوض.

ثم نهى عن الربا في سورة البقرة نهياً وهي من أخر ما نزل[١٠] وأخبر بأن المرابين لا يقومون من قبورهم إلا كما يقوم الذين يتخبطه الشيطان من المس لمشابهة المرابي بالمصروعين، لأن عقولهم شئ من الخدش والخلل، فالمرابي لا يبالي إلا بإنماء ثروته وجمع ماله، واتجه عقله بكليته إلى هذا، فصار مشابهاً لمن كان يمس من الجن، ولذا قال بعض العلماء: إن المرابي لا ينطق بحكمة، ولا يشتهر بفضيلة، بل هو محل لكل رذيلة. وقال البقاعي: هذا صحيح تؤيده المشاهد والتجربة، فقد نعلم ولم نسمع بآكل الربا مجرب لهم سوء الخاتمة والعياذ بالله.

(١٠) وهي قوله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا: إنما البيع مثل الربا وآحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون...) الآيات.

ثـم أخبرنـا سـبحانه وتعـالى أن مـن لم ينتـه عـن الربـا ولم يتركـه فليـأذن بحـرب مـن الله ورسـوله، وأي نهـي أبلـغ مـن هـذا النهـي، وتـوبيخ أعظـم مـن هـذا التـوبيخ، فمـن يطيـق محاربـة الله ورسـوله ولم يجـئ مثـل في شـئ مـن الكبـائر كالزنـا وشـرب الخمـر، وآيـات الربـا في سـورة البقـرة جـاءت بعـد آيـات الـصدقة والحـث عليهـا والترغيـب فيهـا وبعـد ذكـر حالـة المـؤمنين الـذين ينفقـون أمـوالهم في كـل الأوقـات سـرا وعلانيـة علـى المحتـاجين مـن الفقـراء والمعـوزين وإن هـؤلاء الأجـر والمثوبـة عنـد الله وأنـه لا خـوف علـيهم في الماضـي والمـستقبل ولا هـم يحزنـون بـل هـم فرحـون مستبـشرين، مرتـاحو البـال، مـسرورون في الدنيـا والآخرة.

مسألة: فمن قال إن الربا هو العقبة الكؤود في تقدم المسلمين.

وسـئل عفـا الله عنـه عمـن يقـول إن تحـريم الربـا هـو العقبـة الكـأداء في تقـدم المـسلمين حيـث حـرم الـدين الإسـلامي المعـاملات الربويـة الـتي هـي منـاط القـوة، ومصدر الشرف لذا تأخر المسلمون عن مجاراة غيرهم من الأمم.

وأصـبحوا علـة فقـراء. الغـني مـنهم لا تنمـو ثروتـه ولا تزيـد والفقـير في غايـة مـن الفقـر والهـوان، فلـو تعـاملوا بالربـا لنمـت ثـروتهم وكثـرت أمـوالهم، وصـاروا بالمكـان اللائـق بهـم، وهـذا رأي كـثير ممـن تعلمـوا في المـدارس بـل ومـن هـم أكبر منهم؟؟؟.

فأجاب: لا شك أن هذا الرأي خطأ مبني على أوهام لم تقل عن علم واختبار، ولا عن تجربة ونظر صحيح، ولا عن معرفة عن حكم تحريم الربا، فإن المسلمين في هذه الأيام لم يحكموا دينهم في شيء من أعمالهم ومكاسبهم، ولو حكموه في تحريم الربا لما استدانوا بالربا، وجعلوا أموالهم نهباً وسلباً لغيرهم، ثم لو سلمنا أنهم تركوا الربا من أجل دينهم فهل يقول هؤلاء الجهلاء الذين زعموا أن الربا هو العقبة الكأداء في عز المسلمين وقوتهم وإنماء ثروتهم، فهل يقولون نظير هذا في ترك الزراعة والصناعة والتجارة وخلودهم إلى البطالة والكسل لأجل الدين؟ في حين أن الإسلام رغب في الزراعة والصناعة والتجارة وحث عليها في آيات كثيرة من القرآن وأحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلماذا لم نتقن سائر أعمال الكسب المؤدي إلى إنماء الثروة والباعث للعمل والنشاط، لنعوض على أنفسنا ما فات من كسب الربا المحرم فما من محرم منعت الشريعة منه إلا وفتحت طريقاً أحسن وأنفع من ذلك الممنوع، كما ذكرنا فيما تقدم من الصناعة والزراعة. فالدين الإسلامي يأمرنا بأن نسبق الأمم في كل شيء نافع للبشرية، خال عما فيه ضرر لاحق بالدين أو الدنيا غير أن المسلمين في الأغلب نبذوا دينهم ظهريا فلم يبق عندهم منه سوى تقاليد وعادات أخذوها بالوراثة عن أبائهم ومجتمعهم، فمن زعم أن الدين الإسلامي مانع لهم عن الترقي والتقدم مؤخراً لهم إلى الورى فقد عكس القضية وأضاف إلى جهله جهالة شراً منها، وإنما يكون هذا من عدم البصيرة والتأمل في حالة الأمة من بداية نشأتها إلى ما انتهت إليه ولو عرف

جهلهم بأنفسهم لعرفوا ماضيهم هو الذي أوقعهم فيما هم فيه من الشر والبلاء العظيم، فهم لا يعلمون من أين أخذوا، ولا كيف سقطوا من بعد ما ارتفعوا، وما ارتفعوا إلا بالدين القويم الذي ضمن لهم السعادة والعز والرقي.

وما سقطوا إلا بنبذه وراء ظهورهم، وجهلهم لتعليم دينهم وقد أفضى بهم الجهل إلى أنهم يجعلون علة الرقي والسعادة علة السقوط والهبوط والانحطاط.

فتوى: هل وجود النزاع والمخاصمة في الدين يعتبر عيباً؟؟

سئل رجل باع على رجل آخر عقاراً أو منقولاً فبعد لزوم البيع وثبوته ادعى رجل بأن المبيع له أو له فيه استحقاق وأراد المشتري فسخ البيع تضرراً من المخاصمة والمنازعة وطول الأخذ والرد هل مثل هذا يعتبر عيباً يفسخ المشتري لأجله البيع أم لا؟

الجواب لا شك أن مثل هذا عيب واضح ولا سيما في مثل هذا الوقت الذي يطول فيه النزاع ويذهب الوقت، وقد ذكر الأصحاب في تعريف العيب أنه ما نقص به عين المبيع أو ما نقصت قيمته عادة في عرف التجار وإن لم تنقص عينا فهو عيب، ومسألتنا هذه من هذا القبيل لو علم أن في المبيع منازعات وخصومات لنقصت قيمته نقصاً بيناً توقيا من ذلك الضرر البين وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مسودته على المحرر ولا يطمع في إحصاء العيوب لكن يقرب من الضبط ما قيل: إن كل ما يوجد بالمبيع مما ينقص العين أو القيمة نقصاً يفوت به غرض صحيح يثبت الرد إذا

كـان الغالـب في جـنس المبيـع عدمـه ١ هــ والغالـب في جـنس المبيعـات الـسلامة مــن الخــصومات والنــزاع أذا ظهــر إن المبيــع خــصومة أو شــبهة لأحــد لتوقــف الكثيرون أو الأكثر من الشراء ولم يبذلوا فيه قيمة مثله والله أعلم.

فتوى في بضاعة وجد فيها عيباً فأراد ردها وقد تغير السعر

سـئل عـن رجـل اشـترى أكياسـاً كـسكر ونـصوه كـشف علـى بعـضها دون بقيتهـا علـى أنـه مثلـه وقـد قـبض الجميـع وبعـد مـدة تغـير الـسعر فيهـا فـادعى وجود عيب فيما لم يكشف عليه؟

الجـواب ينظـر في الـسكر المـدعي عيبـه إن كـان بـه عيـب ظـاهر ولـيس هـو مثـل الـذي كـشف عليـه فـان لـه الـرد ولا عـبرة بـتغير الـسعر وان هـو مثـل الـذي رأه وأطلع عليه لم يتلفت إلى دعواه العيب والله أعلم.

مسألة: طلق زوجته وأراد مراجعتها إضراراً بها

وطلب العوض على عدم المراجعة

وسـئل عـن رجـل طـال نزاعـه مـع امرأتـه ثـم طلقهـا وبعـد أن قاربـت فـراغ عـدتها جاءهـا رجـل آخـر يخطبهـا فعلـم زوجهـا الأول فقـال أعطـوني عوضـا وإلا راجعتهـا لقـصد الطمـع، فراجعهـا لإرادة الـضرر بهـا وإرادة العـوض وان المــرأة بـذلت لـه عـوض مائـة ريـال فطلقهـا ثانيـاُ فهـل تـستأنف المـرأة عـدة ثانيـة؟ أم تبنـى على عدتها الأولى لآن زوجها لم يقربها منذ طلقها الطلقة الأولى... إلخ؟.

الجواب: هو خلع باطل والعوض مردود لآن المخالعة المذكورة لم تصادف محلاً والطلاق الأول والثاني صحيحان يلحقها به طلقتان وتبنى على عدتها الأولى في مثل هذه القضية على ما اختار شيخ الإسلام ابن تيمية لقوله تعالى (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا أصلاحا) وهذا الرجل لم يرد بارتجاعه أصلاحاً، بل أراد المضارة والطمع، وأيضاً هذا الذي خطبها قبل انقضاء عدتها لا يجوز له ذلك، فأنه يحرم خطبة الرجيعة ما دامت في العدة والله سبحانه وتعالى أعلم.

فتوى في حكم الوقف على الذرية

وسئل عن جواز الوقف على الذرية؟

فأجاب لا يخفي ما قرره بعض أئمة هذه الدعوة كالشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهم الله وغيرهما بأن الوقف على العيال لا يصح، وهو وقف الجنف والأثم، لأنهم وارثوا وفي الوقف عليهم منع لهم من التصرف غيه ببيع أو غيره وحرمان للآخرين من الورثة كما هو معلوم وجماهير العلماء من الحنابلة وغيرهم بل حكاه بعضهم إجماعاً يجيزون الوقف على العيال على أنه قربة وطاعة، ولأن الواقف صدقة من الصدقات، والصدقة على ذي الرحم صدقة وصلة، ولحديث ثم ادناك أدناك ولأن الزبير أوقف دوراً له في المدينة واشترط لبنته المردودة دون المستغنية وأفتى بمعنى هذا الشيخ عبد الرحمن بن حسن في بعض أجوبته

وابنــه الــشيخ عبــد اللطيــف فــيمن أوصــى بثلــث مالــه وقفــاً علــى أولاده مــا تعاقبــوا وتناسلوا.

وكــذلك الــشيخ عبــد الــرحمن بــابطين فيمــا إذا قــال وقــف علــى أولادي وذريتي. وأمام هذه الدعوة الشيخ محمد عبد الوهاب.

مسألة: في ترتيب الجمل على الجمل والأفراد على الأفراد في الأوقاف

مـسألة: أذا قـال الواقـف هـذا وقـف علـى أولادي ثـم أولادهـم هـل هـذا ترتيـب جملـه علـى مثلـها أم ترتيـب أفـراد، وإذا قـال مـن مـات عـن ولـد فنـصيبه لولـده هـل هـو قرينـة في دخـول أولاد البنـات أم لا؟ ومـا معنـى ترتيـب الجملـة وترتيـب الأفراد أفيدونا مأجورين؟

الجـــــــواب:

أذا قـال وقـف علـى أولادي ثـم أولادهـم فقـد ذهـب أكثـر أصـحابنا إلى أن هـذا البـاب ترتيـب الجملـة علـى مثلـها، معنـاه أنـه إذا مـات واحـد مـن الأولاد الموقـوف علـيهم ولـه أولاد لم يـستحق أولاده شـيئاً بـل يرجـع نـصيبه إلى مـن في درجتـه ولـيس للـبطن الثـاني مـا دام موجـوداً مـن الـبطن الأول احـد، هـذا هـو معنـى ترتيـب الجملـة علـى مثلـها وقـد ذهـب جماعـة مـن محققـي أصـحابنا إلى أن هـذا بـاب ترتيـب الأفـراد علـى مثلـه، مـنهم الـشيخ تقـي الـدين، والعلامـة ابـن مفلـح صـاحب الفـروع،وابن قاضـي الجبـل وقـال ابـن أبـي المجـد وهـو قـوي في المعنـى. وقـال ابـن اللحـام جـامع الاختيـارات هـو أظهـر، ومعنـى هـذا الـذي ذهـب

إليه هؤلاء المحققون أنه من باب ترتيب الأفراد على مثلها إذا مات واحد من المفكرين في السؤال انتقل نصيبه إلى أولاده لا إلى من في درجته والله أعلم.

وأما أذا قال الموقف من مات عن ولد فنصيبه لولده فقد حكي غير واحد من الأصحاب الإجماع في دخول أولاد البنات والحالة هذه والله أعلم.

وأما معنى ترتيب الجملة على مثلها وترتيب الأفراد فقد ظهر معناه مما تقدم.

فتوى في تقدير نسبة الحوادث في اصطدام السيارات

من عبد الله بن محمد بن حميد إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون رئيس محاكم الإحساء حفظه الله وتولاه أمين.

سلام الله عليكم ورحمة وبركاته وبعد.

فقد تلقيت كتابكم المكرم المؤرخ ١٣٩٠/٦/٢٨هـ المنبي عن صحتكم وعافيتكم زادكم الله من مواهب بره وإحسانه ووفق الجميع للعمل بما يرضيه.

سؤالكم عما إذا وقع اصطدام بين سيارتين أو انقلبت سيارة ودهست أنساناً أو تلفت شيئاً فأكدت آثار الحادث وشواهد أحواله أن كلا من قائدي السيارتين ساهم في حدوثه أنه خرج بعض الشئ عن خط سيره، أو أنه تصرف تصرفاً سيئاً، أو أنه كان مسرعاً أكثر من المعدل، أو ناعساً، أو مهملاً لما يلزم تفقده وإتقانه من آلات السيارة وما إلى ذلك من عوامل

التفريط وتقرر على ضوء ذلك نسبة مسئولية كل واحد منهما بمعدل ٥٠٪ أو أقل أو أكثر على حسب ما يتناسب مع مقدار مساهمته أو تسببه في وقوع الحادث.. إلخ.

الجواب:

تنحصر هذه المسألة في مقامين. المقام الأول تنزيل العلامات البينة والقرائن الظاهر وشواهد الأحوال الواضحة منزلة البينه حيث لابينه.

المقام الثاني ما يلزم كل من قائدي السيارتين ما اتلفا من مال أو نفس حيث ساهما في وقوع الحادث نتيجة لتفريطهما بخروجهما عن جهة سيرهما أو إهمال أو تقصير منهما إلى غير ذلك.

أما **المقام الأول** فإن الشريعة الإسلامية نزلت العلامات الواضحة والقرائن الظاهرة منزلة البينة، واعتبرتها مثبتة للحق، يحكم القاضي بمقتضاها كما في قصة يوسف عليه السلام في قوله (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) فجعل الصدق في جانب يوسف حيث كان قد القميص من دبر، مما يدل على أنه هارب عنها وهي في أثره طالبة له، وكما في حديث اللقطة حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم العناص والوكاء دليلاً بيناً على صدق مدعي اللقطة وأنها تدفع إليه بمجرد وصفه لها، تنزيلاً لهذا الوصف منزلة البينة/ كما قال ابن القيم في دلالة القرائن الظاهرة وشواهد الأحوال، كما لو أدعي رجل مكشوف الرأس على رجل أخر هارب، هذا

الرجل المدعي خلفه يجري وبيد المدعي عليه عمامة وعلى رأسه عمامة فإنه يقضي لمكشوف الرأس الذي يجري خلف المدعي عليه بأن العامة التي في يده هي عمامة المدعي بناء على القرائن الظاهرة، حيث رؤي هذا الرجل مكشوف الرأس ولم تكن له عادة بهذا ويجري خلف الرجل الأخر طالباً لعمامته منه وبيد الأخر عمامة وعلى رأسه عمامة فلا يلتفت إلى اليد مع وجود هذه العلامات والقرائن وشواهد الأحوال، فمثل ذلك في قضية السيارتين التي اتضح مساهمة قائديهما في وقوع الحادث فتراعى القرائن والعلامات الظاهرة في ذلك قال ابن القيم: والحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الامارات ودلائل الحال ومعرفة شواهده وفي القرائن الحالية والمقتنية كفقيه في جزئيات وكليات الأحكام أضاع حقوقاً كثيرة كغيرها على أصحابها، وحكم بما يعلم الناس بطلانه، ولا يشكون فيه اعتماداً منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرائن أحواله.

المقام الثاني: في حكم ما تلف من مال أو أنفس بسببهما، كل يضمن مقدار ما أتلفه على الأخر، ويشتركان في الضمان أن عرف نسبة مقدار ما وقع من كل منهما فعليه ضمانة، وإذا لم يعرف فيكون التألف بينهما نصفين، كما يشهد لهذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية في حكم قتال أهل البغي قال رحمه الله (إن جهل قدر ما نهبه كل طائفة من الأخرى تساويا) أ.هـ أي أن كل طائفة من الطائفتين المتقاتلتين تضمن ما أتلفته على الأخرى، فلو أتلفت قليلاً ضمنت ما أتلفته فقط والأخرى تضمن ما أتلفته على الطائفة الثانية ولو كان كثيراً، وإذا جهل ما أتلفه كل منهما تساويتا

في الضمان فكان بينهما نصفين، وقياساً على هذا اصطدام السيارتين فان كل واحدة تضمن ما أتلفته على الثانية إذا عرف نسبة ذلك منهم، وإذا جهل تساويتا في الضمان قياساً على قول الشيخ تقي الدين في حكم الطائفتين المتقاتلتين. وذكر أيضاً لو دخل رجل في الصلح بين تلك الطائفتين المتقاتلتين فقتل فالضمان عليها جميعاً ما لم تعلم الطائفة التي قتلته فيكون الضمان على مجموعها إلا اذا علم القاتل بعينه فما يقع بين سائقي السيارات هو على هذا المنوال بحيث إذا جهل مقدار نسبة ما أتلفه أحداهما على الثاني فيكون التالف بينهما نصفين، علم نسبة ما أتلفه كل واحد أو عرف السبب الذي نتيجته التلف والذي هو ناشئ عنه فيكون المتلف بينهم كل على قدر نسبته، فان الضمان ناشئ ومبني عن المتسبب في هذه المسألة كما أشار إلى معناه ابن رجب.

ويدل لهذا أيضاً ما ذكروه في الديات فيما إذا حفر بئراً قصيرة فعمقها آخر عدواناً فضمان تالف بينهما لحصول السبب منهما وأن وضع ثالث فيها سكيناً ونحوها فوقع عليها شخص فمات فالدية اثلاثاً على عواقلهم أي عواقل الثلاثة نصاً لتسببهم في قتله وإيضاحاً لما تقدم من أن الضمان ناشئ عن قوة السبب وضعفه ،أن كلا يضمن بقدر تسببه ما صرحوا به رحمهم الله حيث قالوا وأن تجاذب مكلفان نحو حبل فانقطع فسقطا فماتا فعلى عاقلة كل منهما دية الأخر، وقيل: بل يجب نصفها لأنه هلك بفعل نفسه وفعل صاحبه فيهدر فعل نفسه ويبقى فعل صاحبه، قال في الانصاف والنفس تميل إليه فان كان احدهما منكباً فنصف ديته على عاقلة

المستلقي مغلظة لأن قتل المنكب شبه العمد ، ونصف دية المستلقي على عاقلة المنكب مخففة لأن قتله شبه الخطأ.

ففي المسألة الأولى لما تساويا في السبب تساويا في الضمان على كلا القولين، وفي المسألة الأخيرة فيما إذا كان احدهما منكباً فنصف ديته على عاقله المستلقي مغلظة لقوة السبب من المستلقي ونصف دية المستلقي على عاقلة المنكب مخففة لضعف السبب من قبل المنكب فكان في حقه شبه خطأ.

وبهذا مع ما تقدم يتضح حكم مسألة قائدي السيارتين وان كلاً منهما يضمن من المال والنفس على قدر تسببه، حيث أن الضمان من الحنابلة وغيرهم والله أعلم.

هذا ما لزم ابلغوا سلامنا عبد الله بن عبد العزيز بن رشيد والشيخ عبد المحسن الخيال والشيخ صالح القرعاوي وكافة المشايخ الأخوان السلام عليكم.

١٣٩٠/٧/١١ عبد الله بن محمد بن حميد

مسألة في القسامة

وسأله أحد القضاة عن رجلين أطلقا النار على رجل آخر فأصابته إحدى الطلقتين في رقبته فمات، وأن ورثة المقتول زوجة وأم وابن له عامان وبنت صغيرة، وأن وكيل الورثة البالغين والوصي على القاصرين أدعيا على واحد من الأثنين أنه هو القاتل، والآخر وإن أطلق النار فقد أخطأت طلقته القتيل، وقد أقام الوصي والوكيل البينة بتعيين القاتل ولم نقبل شهادتهم لأن البينة من قبيلة القتيل وبينهم

وبين المدعى عليهم عداوة ظاهرة ورأينا أنها قسامه. فهل تؤجل حتى يبلغ القاصر وماذا يكون على الثاني؟ هل يكتفي باليمن منه ويخلي سبيله أم لا.؟.

الجواب:

أذا كان الحال على ما ذكر فلا يخفي أن من شروط القسامة أن يكون في الورثة ذكر مكلف فإن كانوا نساءاً أو قاصرين كمسألتنا هذه أو نكل الورثة يحلف المدعى عليه خمسين يميناً ويخلي سبيله فان لم يرض الورثة بأيمان المدعى عليه وداه الإمام من بيت المال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودى الأنصاري من عنده لما لم ترض الأنصار بيمين اليهود، ولأنه لم يبق سبيل إلى الثبوت. ولم يوجد ما يوجب السقوط فوجب الغرم من بيت المال لئلا يضيع المعصوم هدراً وهذا الذي قلناه هو منصوص كلام الأصحاب رحمهم الله، والرواية الثانية عن أحمد يحلف العصبة الأدنون إلى الميت وأن لم يكونوا وارثين يحلفون خمسين يميناً، وهو قول في مذهب مالك واختاره طائفة من الحنابلة كالشريف أبي جعفر وأبي الخطاب وابن البنا وغيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار يحلفون خمسون منكم، ومعلوم أن القتيل عبد الله بن سهل ليس له وارث سوى أخيه عبد الرحمن، والمذهب الأول وهو قول أكثر العلماء.

أما الرجل الثاني الذي أطلق النار فلا بد من تعزيره وسجنه على حسب ما تقتضي المصلحة ردعاً له ولأمثاله ولا يكتفي منه باليمين. والله أعلم.

المحتـــــــــــويات



مطابع جامعة أم القرى